جامعة عبد الرحمن ميرة-بجاية
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكّرة:

المكون الصوفي في رواية "حارس العشق الإلهي" "لأدهم العبودي"

مذكّرة مقدّمة لاستكمال شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:
- صبيحة حداد
- فوزية هداج

إشراف:
- نورة عقاق

السنة الجامعية: 2019/2018

الإهداء

إلى منبع الحب والحنان أمي الغالية

إلى من كان سندي في هذه الحياة أبي العزيز

أدام الله عليهما بالصحة والعافية

إلى أختي سرّ بسمتي يسرة

إلى إخوتي وكل أفراد عائلتي

إلى رفيق الدرب خطيبي وزوجي المستقبلي مختار الذي شجعني ووقف دائما معي وإلى كل أفراد عائلته

إلى صديقاتي "روزة، لدية، كهينة، فوزية، سميحة، سامية, دوية...."

صبيحة

الإهداء

إلى شموع دربي والداي العزيزين حفظهما الله

إلى كل إخوتي وأخواتي وكل أفراد عائلة هداج دون استثناء

إلى كل من ساعدني في إتمام هذا العمل وإلي كل أخواتي في الله من قريب أو بعيد

وإلى المشرفة القديرة عقاق نورة

فوزية

كلمة شكر

إننا وبعد حمد الله عز وجل الذي منّ علينا

علي انجاز هذا العمل

نتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذة الكريمة عقاق نورة التي تكرمت

بقبول هذا العمل ومتبعتها لنا بإعطائها النصائح والتوجيهات

جزاها الله خيرا وبارك فيها

وكما نتقدم بالشكر إلى أساتذة قسم اللغة والأدب العربي

مقدمة

يعد التصوف من المواضيع القديمة التي تطرق إليها الأدباء والدارسون باعتباره قاعدة أساسية تنبني عليه العقيدة الإسلامية، وهو من المصطلحات التي اشتدّ عليها الجدل والنقاش وذلك لتعدد مفاهيمه وكثرة مدارسه، وكما أنه أحد الطرق المؤدي للوصول إلى ملكوت الله سبحانه وتعالى، فالغاية الحقيقية التي يسعي إليها الصوفي هو بلوغ قمة الحب الإلهي ومعرفته عزّوجل حق المعرفة وتحقيق الوصال معه.

وقد أصبحت عوالم التصوف ملاذا فنيا للروائيين والشعراء العرب، لما تحمله معانيه من جمال وعمق في تصوير الذات الإنسانية وعلاقتها بالذات الإلهية، ونظرة عميقة إلى الأشياء والمشاعر، وارتباط الانسان بخالق الكون في علاقة وجد وحب دائمين، فكان الروائي أدهم العبودي من بين هؤلاء الذين أسرتهم المعاني الصوفية، وتأثروا بشخصياته، فجعل منها شخصيات جديدة مخالفة لما دونته كتب التاريخ والتصوف.

وقد اخترنا رواية "حارس العشق الإلهي" للروائي "أدهم العبودي" والتي ذيلها بعنوان فرعي تحت اسم "التاريخ السري لمولانا جلال الدين الرومي" قصد دراستها وإظهار تمحور المكون الصوفي فيها، خاصة أن المؤلف قد صرّح بإعادة كتابة جزء من تاريخ التصوف من خلال تتبع شخصيات كالتبريزي وجلال الدين الرومي، وعلاقتها بعوالم روائية أخرى من خلال رواية "قواعد العشق الأربعون" للروائية إليف شافاق.

ومن أهم الأسباب التي جعلتنا نختار هذا الموضوع، هو ارتباط عنوان الرواية بتاريخ الشاعر الصوفي جلال الدين الرومي، فكان العنوان مغريا لدرجة أنه أشعل فينا فتيل الفضول

والرغبة في اكتشاف عوالم هذه الرواية التي استثمرت الجانب التاريخي والصوفي للأمة العربية الإسلامية.

فكان لزاماً علينا الإجابة عن مجموعة من التساؤلات أهمها:

كيف وظّف الروائي أدهم العبودي التصوف في هذه الرواية؟ وهل كان التاريخ الذي ذكره العبودي في روايته هو نفسه التاريخ المعروف عن هذه الشخصيات؟ وماهي المكونات الصوفية التي بنى عليها روايته؟

وبهدف الإجابة عن هذه التساؤلات ارتأينا أن نقسم بحثنا هذا إلى فصلين تسبقهما مقدمة تتلوهما خاتمة وملحق.

فتناولنا في المقدمة أسباب اختيار الموضوع والإشكالية التي بني عليها البحث والمنهج المتبع.

أما الفصل الأول فخصص للحديث عن مفهوم التصوف اللغوي والاصطلاحي ثم عرجنا على بعض مصطلحاته كالمقامات والأحوال وعن كيفية تجلي الرمز الصوفي في كتاباتهم وكما تحدثنا عن الكتابة الصوفية.

وبالنسبة للفصل الثاني فكان دراسة تطبيقية لرواية حارس العشق الإلهي والتي ذّيلها بالتاريخ السري لمولانا جلال الدين الرومي بهدف استخراج المكون الصوفي فيها.

فقمنا بدراسة العنوان والغلاف ودلالة الشخصيات وكذا الاقتباسات الواردة فيها منها الأدبية والدينية، وكذا توظيف التراث الصوفي في الرواية أما الملحق فذكرنا فيه ملخص

الرواية ونبذة عن الكاتب وذيلنا البحث بخاتمة فيها ذكر لأهم النتائج الذي توصل إليه البحث.

أمّا بالنسبة للمنهج الذي استخدمناه فتمثل في المنهج الوصفي التحليلي وقد كان الأنسب لاستكشاف عوالم هذه الرواية، واستخراج المكونات الصوفية التي وظّفها الروائي.

وقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع في انجاز هذا العمل، أهمها المصادر الصوفية: "اللمع" للطوسي، عوارف المعارف للسهروردي، و"الأدب في التراث الصوفي لعبد المنعم خفاجي" وتلبيس إبليس لابن قيم الجوزي وغيرها.

ولا نخفي أنه واجهتنا صعوبات أثناء اعدادنا لهذه المذكرة، منها صعوبة فهم المصطلحات الصوفية وتعدد طرقها، ضف إلى ذلك ضيق الوقت المخصص لإنجاز المذكرة، نظرا للظروف السياسية التي تعيشها البلاد والتي أثّرت سلبا على الهيئات الإدارية في الجامعة، وامتد التأثير السلبي على سير العمل وإنجاز البحث، إضافة إلى عراقيل أخرى شخصية كالجانب الصحي الذي كان سببا في عدم تمكننا من إتمام العمل في الموعد المحدد من طرف الإدارة.

وفي الأخير لا يسعنا إلّا أن نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذة الفاضلة عقاق نورة التي حرصت على اتمامنا للمذكرة، بإرشاداتها وتوجيهاتها، فلهامنا أطيب عبارات الشكر والتقدير ولكل من ساعدنا من قريب أو من بعيد في انجاز هذا العمل أساتذة وزملاء، كما نرجو أن يكون عملنا هذا إضافة ولو بسيطة للقارئ، والله المستعان.

الفصل الأول: نشأة التصـــوف وتـــــطوره.

1 – مفهوم التصوف.

2 – المقامات والأحوال الصوفية.

3 – الكتابة الصوفية.

4 – الرّمز الصوفي.

1- مفهوم التصوف:

أ-المفهوم اللغوي:

لقد تعددت المفاهيم والأقوال في شأن مصطلح التصوف، وهذا راجع لاختلاف وجهات النظر فيه، فنجد في المعاجم العربية منها معجم الوجيز: «**التصوف طريقة سلوكية قوامها التقشف والتحلي بالفضائل لتزكو النفس وتسمو الروح**»[1]، أي هو سلوك أخلاقي ينبني على المبادئ الحسنة والداعية لنشر المحبة لترتقي الذات وتتسم بصفات روحية فاضلة.

أما معجم العين نجد: «**الصفاء مصدر الشيء الصافي**»،[2] من خلال هذا التعريف نرى أن معنى التصوف يدور حول الصفات الأخلاقية التي يجب أن يتصف بها الإنسان العابد والزاهد.

وقد ذهب السّراج الطوسي في تعريفه للتصوف: «**أنها مأخوذة من كلمة الصوف نسبة إلى ذلك النوع من اللباس الذي كان دأب الأنبياء عليهم السلام والصديقين وشعار المساكين والمتنسكين**»[3]، وفي المسار نفسه يذهب محمد كمال جعفر حيث يشير: «**أنّ كل**

---

[1]- مجمع اللغة العربية، مجمع الوجيز، ط1، مطابع الدار الهندسية، القاهرة، مصر، 1980، ص374.

[2]- الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ج7، ص126.

[3]- غريب محمد علي، في التصوف الإسلامي، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1، القاهرة، مصر2008، ص13.

الدلائل بنظره تشير إلى أقرب الفروض إلى الصحة هو فرض نسبة التصوف إلى الصوف باعتباره شارة دالة في وقت معين على منهج خاص»[1].

كذلك نجد "ابن خلدون": «**والأظهر أن قيل بالاشتياق أنه من الصوف وهم في الغالب مختصون بلبسه، لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف»**[2].

يتضح لنا أن التصوف منسوب إلى لباس الصوف الموجود منذ القدم، والذي اشتهر به أصحاب المتنسكين والعابدين حيث نجدهم يفضلون هذا اللباس على اللباس الفخم والفاخر كذلك ارتبط بلباس الأنبياء والرسل المتميزين عن غيرهم بالعلم وسداد الرأي والموعظة.

وقد ذهب "ماسنيون" في مقاله في دائرة المعارف للقول «**أن التصوف هو مصدر الفعل الخماسي المصوغ من تصوف للدلالة على لبس الصوف ومن ثم كان المتجرد لحياة الصوفية يسمى في الإسلام صوفيا وينبغي رفض ما عدا ذلك من الأقوال التي قال بها القدماء والمحدثون»**[3]، أي أنّ التصوف يدل على اللباس الذي صنع من الصوف وبالتالي فكل منتسب إليهم يسمي صوفيا نسبة لذلك اللباس.

---

[1]– غريب محمد علي، في التصوف الإسلامي، ص14.

[2]– نقلا:عن المرجع نفسه، ص13.

[3]– المرجع نفسه، ص14.

ويذهب آخرون إلى أنّ صوفي نسبة إلى «**أهل الصفة فريق من فقراء المهاجرين والأنصار ليس لهم متاع ولا مال فرغت أيديهم من كل شيء وامتلأت قلوبهم بهدى الله**»[1].

هذا يدل على أن أهل الصفة هم الأقرب إلى الله تعالى في الطاعة والعبودية فقد سخّروا حياتهم خدمة للمولى عز وجل، مع التخلي عن كل ما تهواه النفس من ملذات الحياة ويتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا**﴾[2].

وهناك رأي آخر بأنه مأخوذ من الصفاء «**والصفاء هو خلوص الباطن من الشهوات والكدرات**».[3] ومعناه صفاء القلب من كل أشكال أمراض القلوب كالحقد والكراهية والبغضاء وحب النفس والتملك، قوله صلى الله عليه وسلم: «**ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**».[4]

---

[1]– محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب في التراث الصوفي، مكتبة غريب، د.ط، مصر، القاهرة، ص26.

[2]– سورة الكهف، الآية 28.

[3]– عبد غالب أحمد عيسى، مفهوم التصوف، دار الجيل، ط1، بيروت، لبنان، 1992، ص11.

[4]– أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، ط 1، دمشق، بيروت، 2002، ص 24.

ب- المفهوم الاصطلاحي:

يعد التصوف من التجارب الإنسانية، والتي أثارت الكثير من التساؤلات والنقاشات، إذ تعددت مفاهيمه لتعدد مذاهبه وطرقه، وقد اختلفت وجهات نظر الباحثين في تحليلهم لهذا المصطلح. فنجد ابن خلدون في علم التصوف يقول: «**هذا علم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها... والإفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة**»[1]، وفي نفس السياق يشير الآمدي في كتابه حياة القلوب: «**هو علم الباطن وحقيقة الشريعة، علم تعرف فيه أحوال النفس في الخير والشر وكيفية تنقيتها من عيوبها وآفاتها لتطهيرها من الصفات المذمومة والرذائل المعنوية التي ورد الشرع باجتنابها والتمسك بضدها من الصفات المحمودة**»[2].

فالتصوف من هذه الزاوية هي تجربة روحية صافية يتطهر من خلالها المتصوف من كل الآفات الإنسانية السيئة، والتجرد منها، والتمسك بالصفات والأخلاق الفاضلة.

ومن جهة أخرى نجد أنّ «**التصوف بوجه عام فلسفة حياة وطريقة معينة في السلوك يتخذهما الإنسان لتحقيق كماله الأخلاقي وعرفانه بالحقيقة وسعادته الروحية**»[3]

---

[1]-نقلا:عن محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب في التراث الصوفي، ص22.

[2]- نقلا:عن المرجع نفسه، ص22.

[3]- أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط 3، القاهرة، 1997، ص3.

أي أنه تجربة حياة وطريقة سلوكية خاصة يتصف بها الصوفي عن غيره للوصول للحقيقة وجوهر الحياة.

والتصوف عند الجنيد: «**ما أخذت التصوف عن القيل والقال، لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات و المحسنات لأن التصوف من صفاء المعاملة مع الله سبحانه وتعالى وأصله التفرق عن الدنيا**»[1].

نستنتج مما سبق أن التصوف هو الانقطاع عن الدنيا وشهوتها وتعذيب النفس والتوجه لله وحده، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة**﴾.[2] كما نجد تعريفا آخر للتصوف على أنه «**الأخذ بالأحوط من المأثورات واجتناب المنهيات والاقتصار على الضروريات من المباحات**»،[3] بمعنى أنّ التصوف يكمن في الابتعاد عن الشبهات والامتثال لأوامر الله واجتناب نواهيه.

وفي نفس المسار يذهب الكتاني إلى القول أن: «**التصوف خلق، فمن زاد عليك في الخلق، زاد عليك في الصفاء**»[4]، فالتصوف بهذا يتجلى في الأخلاق المبنية على التسامح

---

[1]– أبي الفرج عبد الرحمان، تلبيس إبليس، دار القلم، بيروت، لبنان، د ط، ص163.

[2]– سورة البينة، الآية5.

[3]– عبد غالب أحمد عيسى، مفهوم التصوف، ص25.

[4] – أبو الوفا الغنيمي التفتا زاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، ص 11.

والمحبة والصفاء الروحي، أي الأخلاق الإسلامية التي يتصف بها الفرد العابد الزاهد، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾[1].

ويضيف معروف الكرخي تعريفا آخر للتصوف إذ يقول: «**هو الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق**»[2]، معناه هو الأخذ بحقائق الأشياء بالزهد في الدنيا وترك المغريات.

وفي نفس السياق نجد عبد المنعم الخفاجي يقول: «**التصوف في حقيقته إيثار وتضحية باللذائذ والشهوات...تضحية بالعاجل وإيثار للآجل مجاهدة للنفس ومغالبة لأهوائها**»،[3]وهذا يدل على أن التصوف هو التخلي عن زخرف الدنيا والسعي إلى نيل الآخرة، ومجاهدة النفس في الطاعة والتحلّي بكل الحقائق الإسلامية من إيمان وعبادة.

على الرغم من تعدد مفاهيم التصوف واختلاف الآراء فيه، إلا أنه يدل على مدلول واحد ألا وهو الصفاء الروحي.

---

[1]– سورة القلم الآية 4.

[2]– عبد المنعم خفاجي، الأدب في التراث الصوفي، ص33.

[3]– المرجع نفسه ، ص33.

2 – المقامات والأحوال الصوفية:

اشتهر المتصوفة في التعبير عن تجاربهم العقائدية بمقامات وأحوال عدت بمثابة سلّم روحي يرتقي بها العبد إلى مقام الألوهية، فهي البوابة الموصلة إلى الله عز وجل.

أ – المقامات:

تعد المقامات مكاسب للارتقاء الروحي، وكما أنها مفتاح الوصول إلى معرفة الله تعالى وقد عرّفها "السّراج الطوسي" بقوله: «**مقام العبد بين يدي الله عز وجل، فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات والانقطاع إلى الله عز وجل**»[1]، فالصوفي من هنا ملزم في سفره الروحي بالتقيد بسلوكات وأخلاق فاضلة حتى يبلغ درجة الرقي الإلهي.

وسنقوم الآن بتحليل بعض معاني المقامات:

1– مقام التوبة:

وهي أولى المقامات ومفتاح سلوك السالكين، قال الله تعالى: «... **وتوبوا الى الله جميعا أيّها المؤمنون لعلّكم تفلحون**»[2]، فالله يحب التوبة الصادقة النابعة من القلب، وتعرف

[1]– السّراج الطوسي، اللمع، دار الكتب الحديثة، د ط، مصر، بغداد، 1969، ص65.

[2]– سورة النور، الآية 31.

التوبة أيضا على أنها: «**الرجوع عما كان مذموما في الشرع إلى ما هو محمود فيه**»[1].

فالندم على زلة ما أو ذنب ما توبة، والعلم بضرر الذنب المتسبب في وقوع ذلك الفعل يتبعه الندم مع شدة الإصرار لترك ذلك الذنب.

ويشير القشيري إلى التوبة قائلا: «**وتبدأ التوبة من التفكير في سوء الأعمال، ثم تنتقل إلى إرادة القلب حيث يكون التنفيذ، فإذا عزم العبد على الإقلاع عن الذنب مده الله تعالى بتصحيح العزيمة والأخذ في جميل الرجعة والتأهب لأسباب التوبة. ويشترط القشيري في أسباب التوبة وترتيب أقسامها هجر أخوان السوء، فإذا هجرهم انحلت عن قلبه عنده الإصرار وقادته العزيمة الصادقة إلى كبح جماح النفس عن متابعة الشهوات -وهو في ذلك- عاقد النية على أن لا يعود مرة أخرى إلى ذنبه في مستقبل الأعمال**»[2]، فالتفكير إذا في هول المعصية مع الإرادة وتفتح الضمير النابعة من القلب يبدأ الترقي في مدارج التوبة فإذا شحذت عزيمة العبد للإقلاع عن الذنب أعانه الله لتصحيح مسار سلوكه نحو الأحسن

---

[1]– الإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، الرسالة القشيرية، دار الكتب العلمية، د ط، بيروت، لبنان، 2001، ص127.

[2]– نفلا: عن مجدي محمد إبراهيم، التصوف السني حال الفناء بين الجنيد والغزالي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، الإسكندرية، مصر، 2002، ص83.

يقول الله تعالى: ﴿**غافر الذنب وقابل التوب...**﴾[1]، ويشترط "القشيري" لتأهب العبد في أسباب التوبة بالإبتعاد عن أصحاب السوء لأنهم قد يشوشون عليه فيحولون بينه وبين عزمه على الإقلاع عن المعصية إضافة إلى كبح النفس عن متابعة الشهوات والعزم على عدم العودة لذلك الذنب في المستقبل.

وبهذا يتبين لنا مكانة مقام التوبة لدى الصوفيين فهي الأساس على صدق الإيمان وصحة العقل وتفتح البصيرة، و«**التوبة تقتضي الورع**».[2]

2- مقام الورع:

في هذا المقام تنتظم أنقى الخصال الحميدة، فالورع عند يحيى بن معاذ الرازي هو: «**الوقوف على حد العلم من غير تأويل**»[3]، فالتبرؤ من المقام يستلزم نفسا قنوعة وعقلا حكيما يخشى الله فكما يقول أبي سعد الخراز: «**الورع أن تتبرأ من مظالم الخلق من مثاقيل الذنب، حتى لا يكون لأحدهم قبلك مظلمة ولا دعوى ولا طلبة**»[4].

---

[1]- سورة غافر، الآية:3.

[2]- السراج الطوسي، اللمع، ص69.

[3]- مجدي محمد إبراهيم، التصوف السني حال الفناء بين الجنيد والغزالي، ص84.

[4]- المرجع نفسه، ص83.

وأشرف ما في الورع عدم التفكير في أمور تشغل القلب عن ذكر الله فكما يقول أبي عبد الرحمن السلمي من أنّ «**الورع هو التورع عما سوى الله**»[1]، فالورع إحدى سمات التقوى فلا تدرك في هذا الوجود إلا الله عز وجل لقوله تعالى: ﴿**ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إنّ الله واسع عليم**﴾[2].

فالورع عماد الدين، وأهل الورع على حد تعبير الطوسي ثلاث طبقات: «**فمنهم عن الشبهات التي اشتبهت عليه، وهي ما بين الحرام البين والحلال البين... ومنهم من يتورع عما يقف عنه قلبه ويحيك فيصدره عند تناولها وهذا لا يعرفه إلا أرباب القلوب والمتحققون... وأما الطبقة الثالثة في الورع فهم العارفون والواجدون...** »[3]، فالطبقة الأولى تتسم بالورع العادي، فإذا شككت في شيء تركته حالا، أمّا الطبقة الثانية فتختص بورع مختص يتسم بها أرباب القلوب والمتحققين، أمّا الطبقة الثالثة فتختص بورع يتسم بها العارفون والواجدون فلا ينشغل القلب إلا بذكر الله عز وجل وأعلى ما في مقام الورع أنه يفتح الطريق لصاحبه، فينبثق المسلك الذي يقوده إلى الله عز وجل، فلا ينشغل القلب عن ذكر الله ولا دقيقة.

---

[1]– مجدي محمد إبراهيم، التصوف السني حال الفناء بين الجنيد والغزالي، ص 86.

[2]– سورة البقرة، الآية 115.

[3]– السّراج الطوسي، اللمع، ص70، 71.

3 – مقام الزهد:

الزهد إحدى مقامات المتصوفين، وهو مقام شريف، قال الشيخ رحمه الله: «**والزهد مقام شريف، وهو أساس الأحوال الرضيّة والمراتب السنيّة وهو أوّل قدم للقاصدين إلى الله عز وجل، والمنقطعين إلى الله، والراضين عن الله، والمتوكلين على الله**»[1]، فهنا يتضح الزهد الصادق النابع عن اعتقاد صحيح غايته مرضاة الله، والتوكل عليه دون سواه.

فالزّاهد يمتنع عن الفرح بما في الدّنيا من ملذّات ولا يأسى عمّا افتقده، قال الله تعالى: ﴿**لكيلا لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم والله لا يحبّ كلّ مختال فخور**﴾[2].

وقال "سري السقطي": «**الزهد ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدّنيا، ويجمع هذا: الحظوظ المالية والجاهيّة، وحبّ المنزلة عند النّاس وحبّ الحمد والثّناء**»[3]. فالزهد يكون بصرف سوء رغبة النفس وترك حظوظ النفس من الدنيا إلى ما هو خير منها (الرغبة في الآخرة).

---

[1]– السراج الطوسي اللمع، ص72.

[2]– سورة الحديد، الآية 23.

[3]– شهاب الدين أبي حفص عمر السهروردي، عوارف المعارف، دار المعارف، القاهرة، ج2، 1919، ص283.

وقال الجنيد أنّ «**الزهد خلو الأيدي من الأملاك، والقلوب من الّتتبّع**»[1]. فالزهد بهذا المعنى مقترن بالكرم وعدم البخل وحب العطاء للغير وعدم الانصهار على رغبات وشهوات النفس الفانية.

ويذهب "إبراهيم بن أدهم" إلى القول أنّه: «**قد حجبت قلوبنا بثلاثة أغطية، فلن يكشف للعبد اليقين حتى ترفع هذه الحجب: الفرح بالموجود، والحزن على المفقود والسرور بالمدح، فإذا فرحت بالموجود فأنت حريص، والحرص محروم، وإذا حزنت على المفقود فأنت ساخط والساخط معاب، وإذا سررت بالمدح فأنت معجب، والعجب يحبط العمل**»[2].

وفي هذا القول ما يدل على الرأي الشديد النابع من الوعي بخبايا الأمور، والأوصاف التي ينبغي على المتصوف الحقيقي التمسك بها فلا يفرح بحظ من حظوظ النفس التي ترغب البقاء في الدنيا، ولا يأسف أو يحزن على مفقود منها، لا يسر بمدح الناس له فذلك يدل على الزهد الحقيقي.

---

[1]– مجدي محمد إبراهيم، التصوف السني، حال الفناء بين الجنيد والغزالي، ص88.

[2]– المرجع نفسه، ص91.

وقال "أبو عثمان": «**الزهد: أن تترك الدنيا ثم لا تبالي بمن أخذها**»[1]. فالزّهد في الدنيا بما فيها وابتغاء مرضات الله وطاعته فيكون همّ الآخرة العمل الشاغل للمتصوّف.

والزهاد كما ذكرهم الطوسي في كتابه اللمع على ثلاث طبقات: «**فمنهم المبتدئون وهم الذين خلت أيديهم من الأملاك، وخلت قلوبهم مما خلت منه أيديهم... وفرقة منهم متحققون في الزهد... والفرقة الثالثة: علموا وتيقنوا: أن لو كانت الدنيا كلها لهم ملكا حلالا، ولا يحاسبون عليها في الآخرة، ولا ينقص ذلك ممّا لهم عند الله شيئا ثم زهدوا فيها لله عزّ وجل، لكان زهدهم في شيء منذ خلقها الله تعالى من نظر إليها، ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة من ماء فعند ذلك زهدوا في زهدهم...**»[2]، فالطبقة الأولى تختص بالمبتدئين وهم الذين اجتهدوا وسعوا بإصرار لتطبيق ما كلّفوا به مع كثرة الجود والكرم وسعة العطاء مما في أيديهم للغير، فزهدوا فيه فخلا القلب من الطمع، أمّا الطبقة الثانية فهم المتحققين في الزهد وهم الذين زهدوا في جميع حظوظ النفس بكل ما تحويه الدنيا من مغريات لما في الزهد من راحة وحلاوة في القلب وطمأنينة في النفس، أمّا الطبقة الثالثة فتختص بالذين علموا وتيقّنوا بأنه حتى ولو كانت الدنيا حلالا لهم ودون حساب لزهدوا فيها من البداية وبالتّالي زهدوا في زهدهم.

---

[1]– القشيري، الرسالة القشيرية، ص152.

[2]– الطوسي، اللمع، ص72، 73.

والزهد يقتضي «**معانقة الفقر واختياره**"[1].

4-مقام الفقر:

وهو من المقامات الشريفة، قال الله تعالى: ﴿**وللفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم**﴾[2].

فالله يصف الفقراء العفيفين بأنهم يتصفون بالتّواضع والصبر وعدم السخط فالفقر ابتلاء من الله عز وجل، والفقراء على ثلاث طبقات: «**فمنهم من لا يملك شيئا، ولا يطلب بظاهره ولا بباطنه من أحد شيئا، ولا ينتظر من أحد شيئا، وإن أعطى شيئا لم يأخذ، فهذا مقام المقربين... ومنهم من لا يملك شيئا ولا يسأل أحدا ولا يطلب، ولا يعرض وإن أعطى شيئا من غير مسألة أخذ... ومنهم من لا يملك شيئا وإذا احتاج انبسط إلى بعض إخوانه ممن يعلم أنه يفرح بانبساطه إليه...**»[3]، فهنا تبيان لأهل الفقر الذين ينقسمون إلى طبقات فالأولى تتّسم بالفقر المطلق وتركهم السؤال والأخذ من الناس ويرفضون الصّدقة، والطبقة الثانية تتّصف بالفقر الشديد لكنهم يطلبون من الناس وإن أعطوا شيئا قبلوه، أمّا الطبقة

---

[1]- السراج الطوسي، اللمع، ص73.

[2]- سورة البقرة، الآية 273.

[3]- السراج الطوسي، اللمع، ص 74- 75.

الأخيرة فتتّسم بالفقر الشديد وإذا احتاجوا لتسديد حاجة ما أقبلوا إلى بعض إخوانهم، وكان الأفضل أن يتّجهوا للعمل.

في حين يذهب إبراهيم القصّار للقول أنّ: «**الفقر لباس يورث الرضا إذا تحقق العبد فيه**»[1]، فالفقر ثوب يرتديه العبد وعن طريقه يصل إلى جوهر الحقيقة الإلهية، مما يجعله يكتسي صفات أخلاقية كالعزة والرضا، والتي هي من أصدق تعابير الفقر.

والفقر المحمود هو الحالة التي يكون فيها الصوفي صابرا وقابلا لابتلاء الله عزّ وجل في هذا الصدد يقول ابن سبعين: «**هو الصبر على المكروه وشكر المنعم الحكيم والفتوّة المحضة، ورفع الأذى كله وفعل ما يجب -كما يجب على ما يجب في الوقت الذي يجب**»[2]، فالذي يتخذ من الفقر معبرا وقربا لله عزّ وجل فيصبر ولا يسخط على قضاء الله هو الفقير النقيّ التقيّ.

5- مقام الصبر:

وهو من درر الظّفر ومفتاح الفرج، يقول الله تعالى: ﴿**واصبر وما صبرك إلاّ بالله ولا تحزن عليهم ولاتك في ضيق ممّا يمكرون**﴾.[3]فالصبر إذا هو توفيق من الله عز وجل.

---

[1]- القشيري، الرسالة القشيرية، ص304.

[2]- مجدي محمد إبراهيم، التصوف السني حال الفناء بين الجنيد والغزالي، ص102.

[3]- سورة النحل، الآية 127.

كما يعد الصبر إيمان بالقضاء والقدر، وهو عند الغزالي: «**أحد مقامات الدين ومنزل من منازل السالكين...**»[1]، فالصبر يصدر عن إدراك ويقين، وهو أحد مسالك الطريق الصوفي، قال تعالى: «**يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون**»[2] فالصبر على المصائب والطاعات من أعظم الأعمال وأرقاها.

والصبر عند ابن القيم ثلاثة أقسام هي: «**1/ صبر على الأوامر والطاعات حتى يؤديها، 2/ صبر عن المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها، 3/ صبر على الأقدار حتى لا يتسخطها...**»[3]، فالصبر على الطاعات والمعاصي والقضاء والقدر واجب.

ومما لا شك فيه أن الصبر على أوامر الله ونواهيه صعب للغاية، وهو عند الغزالي ثلاثة أنواع: «**أولها أن يقهر الصابر الهوى حتى لا تبقى له مقاومة وذلك بدوام الصبر الثاني أن تكون الحرب سجالا بين داعي الهوى وباعث الدين، وهذا نوع من الناس الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم، الثالث أن يتغلب داعي الهوى وتسقط بالكلية منازعة باعث الدين، وهؤلاء هم العاملون السادرون في غيّهم والعياذ**

---

[1]– محمد علي أبو ريان، الحركة الصوفية في الإسلام، ص119.

[2]– سورة آل عمران، الآية 200.

[3]– عبد الحميد حسن زروق، قضايا التصوف الإسلامي، هيئة الأعمال الفكرية، ط2، 2006، ص66– 67.

بالله»[1]، فأصحاب الطبقة الأولى تغلّبوا على ملذاتهم بالصبر، فاتخذوه شعارا لهم، أما الطبقة الثانية فقد توسطوا بين الخير والشر ويرجون رحمة الله عليهم وغفرانه، أما الطبقة الأخيرة فقد طغت عليهم الملذات والنزوات.

6- مقام التوكل:

وهو من المقامات الشريفة والكريمة، وقد قرنه الله عز وجل بالتوحيد والإيمان لقوله تعالى: ﴿**قل لّن يصيبنا إلّا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون**﴾،[2] فالله هو الذي ينصر المؤمنين ويتولّى أمورهم.

وروي كذلك عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله: «**اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم...**»[3]، فالتوكل على الله سلاح المؤمن وثبات للقلب وتقوية للروح، فهو إذن عند الصوفي التّخلي عن السعي وترك التعلّق بالأسباب وفي هذا قال ذو النون: «**التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة**»،[4] فالتوكل إذا هو عدم السعي وتفويض الأمور للمولى عز وجل.

---

[1]- عبد الحميد حسن زروق، قضايا التصوف الإسلامي ، ص68.

[2]- سورة التوبة، الآية 51.

[3] - الإمام ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2005م، ص106.

[4] - عبد الحميد حسن زروق، قضايا التصوف الإسلامي، ص78.

والمتوكل على الله حق توكل لا ينفعل أو يتوتر في سبيل إيجاد العوامل الموصلة لتحقيق أهدافه، ويكون على دراية ويقين أن بلوغه الهدف المنشود سيكون بإرادة الله، وقد حدد الغزالي درجات التوكل فقال: «**إنّ أول درجة من درجات التوكّل هي أن تكون ثقة المتوكل بالله كثقته بالوكيل، والثانية أن تكون حال المتوكل كحال الطفل مع أمه لا يعتمد إلا إياها ولا يفزع إلى أحد سواها، والدرجة الثالثة أن يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكناته مثل الميت بين يدي الغاسل... والمتوكّل في الحالة الثالثة مثل صبي علم أنه لم يتعلق بذيل أمه فالأم تحمله، وإن لم يسألها اللّبن تسقيه...**»[1]، فالتوكل في الحالة الأولى هو يقين وتوكل مطلق بالله تعالى، أما في الدرجة الثانية فيكون المتوكل أشبه بالصغير الذي يسأل أمه ويطلب منها ما يحتاج ويدعوها لتلبية متطلباته، فهو يسأل ويطلب ويدعو، أمّا المتوكل في الدرجة الأخيرة فيسلم أمره لله تعالى فيكون بلا حول ولا قوة مع الثقة والطمأنينة في القلب.

فالتوكل إذا من المقامات الشريفة وهو الاعتماد على الله بكل الجوارح دون اضطراب أو خوف مع السعي والأخذ بالأسباب الموصلة للغاية.

[1]– عبد الحميد حسن زروق، قضايا التصوف الإسلامي ، ص79، 80.

ب- الأحوال الصوفية:

لقد ارتبطت الأحوال الصوفية ارتباطا كبيرا بالعقيدة الإسلامية، باعتباره القاعدة الأساسية في حياة الفرد والمجتمع فقد عّرفها الطوسي في كتابه "اللمع" «**ما يحل بالقلوب أو تحل به القلوب من صفاء الأذكار**».[1]وقد أشار الجنيد إليها فقال «**الحال نازلة تنزل بالقلوب فلا تدوم**»[2]. أي أنها هبة من الله لتحل بالقلب وتزول بإرادة وقدرة الحق، إذ أنّها «**أهم ما يختص به السالك في الطريق... لأنها من الواردات التي تحصل للسالكين التي تحدث بعد طول مجاهدة ومكابدة وحمل النفس على المشقة البدينة وقهر السلوك على الالتزام**»[3].

وعدّ الطوسي الأحوال على عشرة أحوال منها «**المراقبة، القرب، المحبة، الخوف الرجاء، الشوق**»[4].

---

[1]– السراج الطوسي، اللمع، ص66.

[2]– المرجع نفسه، ص66.

[3]– مجدي محمد إبراهيم، التصوف السني حال الفناء بين الجنيد والغزالي، ص75.

[4]– السراج الطوسي، اللمع، ص50.

1- حال المراقبة:

ومعناه أنّ العبد قد استسلم لله بطاعته وترك كل ماله علاقة بالدنيا بعد تيقنه بأنه عّز وجل يراقبه ويعرف ما في نفس العبد، وفي ذلك قوله عز وجل ﴿**وكان الله على كل شيء رقيبا**﴾[1] وكذلك قوله أيضا ﴿**ألم يعلموا أنّ الله يعلم سرهم ونجواهم وأنّ الله علاّم الغيوب**﴾[2].

فالمراقبة عند الصوفي تستلزم محاسبة النفس والانتباه لما يقوم به العبد أثناء غفلته فهم يحرصون حرصا شديدا على صيانة القلب والخواطر من الأفعال والأعمال التي يقوم بها، وقد صدق الجنان قال أبو حفص «**إذا جلست للناس فكن واعظا لقلبك ولنفسك، ولا يغرنك اجتماعهم عليك، فإنهم يراقبون ظاهرك والله يراقب باطنك**»[3].

2 - القرب:

إنّ هذا الحال يرتكز أساسا على الطاعة الخالصة لله عز وجل، فكلما كان العبد قريبا من ربه كلما تقرب الله إليه أكثر ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿.يقول الله تعالى **إن تقرب إليّ شبرا تقرّبت إليه ذراعا، وإن تقرّب إليّ ذراعا تقرّبت إليه باعا**﴾.[4]

---

[1]- سورة الأحزاب، الآية 52.

[2]- سورة التوبة، الآية 78.

[3]- مجدي محمد إبراهيم، التصوف السني حال الفناء بين الجنيد والغزالي، ص123.

[4]- رواه البخاري 171/8.

ومن الدلائل التي تشير إلى قرب الله تعالى من عباده ما ذكر في كتابه العزيز من ذلك قوله :﴿وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان﴾.[1]وكذلك ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾[2]

ومن هذه الآيات الكريمة قد ربط المتصوفة قربهم بالله عز وجل فالعبد يتقرب إلى المولى عز وجل عن طريق مختلف الطاعات والعبادات وفي ذلك قول "الجنيد" «**إن الله يقرب من قلوب عباده على حسب ما يرى من قرب عباده منه**»[3].

وهذا ما جعل المتصوفة يربطون التقرب بالله بالطاعة إذ قيل أن أقرب ما يكون العبد قاربا من ربه في سجوده وفي ذلك «**ما تقرب عبد إلى شيء أحب إلي مما أفرضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته ولئن استعاذ بي لأعذته**»[4].

---

[1]– سورة البقرة، الآية 186.

[2]– سورة الواقعة، الآية 85.

[3]– السراج الطوسي، اللمع، ص85.

[4]– مجدي محمد إبراهيم، التصوف السني حال الفناء بين الجنيد والغزالي، ص126.

هذا يدل على أنّ التقرب إلى الله سبحانه وتعالى يكون عن طريق الصفات الحميدة والأخلاق الحسنة التي هي من الصفات الإلهية، والابتعاد عن المنكرات والخبائث، فكلما زكى العبد نفسه وطهرها من كل الأمراض النفسية كالحقد والبغض كلما كان أقرب إلى الله.

3 – المحبة:

تعد من المقامات الصوفية وتعني امتلاء القلب بمحبة الله تعالى ولا يشاركه أحد في هذا الوضع وهي طمأنينة ورضا ونزوع فطري في العبد لخالقه، وهي عند الصوفي محبة خالصة لله «**المحبة هي الرغبة في شيء معين والتطلع إليه ووجود لذة الظفر به وحال المحبة أن يكون الإنسان في حالة توتر وشوق لا يرتاح له بال ولا تهدأ له نفس حتى يجد ما يجب**»[1]بمعني أن الحب هو شعور وإحساس تجاه شيء ما والإلحاح بشدة في تحقيقه.

وقد ذكر الله تعالى المحبة في مواضيع كثيرة في كتابه العزيز فقال تعالى: ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**﴾[2].وقال أيضا: ﴿**يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله**﴾[3]. من هنا فالمتصوفة يعتبرون أنّ حب الله هو الحب الوحيد باعتباره نور اليقين وسر

---

[1]– عبد الله حسن زروق، قضايا التصوف الإسلامي، ص84.

[2]– سورة أل عمران، الآية 31.

[3]– سورة البقرة، الآية 165 .

الجمال فهم انفردوا من كل شيء لأجل حب الله عز وجل، فلذة الحب لديهم متجسدة من خلال ذكرهم لله سبحانه وتعالى ومناجاته، وفي هذا الصدد تقول رابعة العدوية «**ما عبدته -أي الله- خوفا من ناره وطمعا في جنته فأكون كأجير السوء، عبدته حبا له وشوقا إليه**»[1].

فاشتهر المتصوفة بالحب الإلهي فأكثروا فيه في أشعارهم والتغني بالله ومن بينهم جلال الدين الرومي، الحلاج، رابعة العدوية فنجد هذه الأخيرة تفننت في ذلك وقدمت أبياتا مشهورة من ذلك:

أحبك حبين حب الهـــوى وحب لأنك أهل لـــــــــذاك.

فأما الذي هو حب الهوى فذكر شغلت به عمن سواك.

وأمّا الذي أنت أهل بـــــه فكشف للحجب حتـــى أراك[2].

من خلال هذه الأبيات نجد رابعة العدوية قد انشغلت بحب الله دون غيره. وفي نفس المسار نجد الحلاج يهيم حبا بذكر الله فهو القائل:

والله ما طلعت شمس ولا غربت إلا وحبـــك مقرون بأنفاسي

---

[1]– عبد الله حسن زروق، قضايا التصوف الإسلامي، ص90.

[2] – المرجع نفسه، ص 90.

ولا خلوت إلى قوم أحدثهـــم إلا وأنت بقلبي بين وسواسي[1].

يبين الحلاج هنا بأن محبة الله استلهمت كل عواطفه، وأحاسيسه، قد ربط كل شيء في الكون بحب الله.

4 – الخوف:

هو هلع يحدث في النفس نتيجة التفكير في أمور سلبية كانتظار حدوث أشياء مريعة مستقبلا، كالخشية من ارتكاب معصية ما أو الخشية من معشوقه الأوحد بأن لايغفر له وبالتالي يحيل بينه وبين الوقوع في الآثام، ويعرفه "الغزالي" بقوله : «**عبارة عن تألم القلب بسبب توقع مكروه في الاستقبال ولا ينتظم بهلع وحال وعمل**»[2].

فماهية هذا الحال عنده يكمن في الخوف من الله وعذابه، مما يقتضي الحذر من الوقوع في معصية الله، إذ ربطه المتصوفة بعقاب الله ومحبته، فبالتالي هو الذي يردعهم عن الوقوع في معصية الله فهذا الخوف يجعل العبد في صحوة يذكّره دائما بالوقوف بين يدي الله عز وجل والحساب والآخرة، وفي ذلك ما روى عن علي كرم الله وجهه أنه قال لبعض ولده «**يا بني خف الله خوفا ترى أنك لو أتيته بحسنات أهل الأرض لم يتقبلها منك**»[3].

---

[1]– غريب محمد علي، في التصوف الإسلامي، ص91.

[2]– عبد الله حسن زروق، قضايا التصوف الإسلامي، ص71.

[3]– مجدي محمد إبراهيم، التصوف السني حال الفناء بين الجنيد والغزالي، ص149.

وكذلك ما ذكر في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقيه فأولئك هم الفائزون**﴾[1]وقوله أيضا«**هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون**﴾[2]

5- الرجاء:

هو انبساط وانشراح الصدر للمولى عز وجل والوصول إلى ما يرجوه، في قوله تعالى: ﴿**إنّ الّذين آمنوا والّذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم**﴾[3]وقد عّرفه "الغزالي" بأنه: «**توقع وانتظار حدوث شيء محبوب في المستقبل**»[4].

يشير "الغزالي" هنا إلى أنّ العبد دائما يطمح إلى الأشياء الجيدة في الحياة يتوقع من الله السعادة الأبدية ألا وهي نيل رضوانه، فهو دائما متلذذ ومتوسّل ومتضرع لله راجيا إيّاه مغفرته.

فالرجاء حال من الأحوال الشريفة والكريمة، لقوله تعالى: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر**﴾،[5] وقال في موضع آخر:﴿**فمن كان يرجو لقاء ربه**

---

[1]- سورة النور، الآية 52.

[2]- سورة الأعراف، الآية 154.

[3]- سورة البقرة، الآية 218.

[4]- عبد الله حسن زروق، قضايا التصوف الإسلامي، ص74.

[5]- سورة الأحزاب، الآية 21.

فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾.[1]

فالعبد الصالح المقيم لجميع أوامر الله واجتناب نواهيه هوالكفيل لرجاء ربه ونيل غفرانه ونعمته عكس العبد الماجن الساعي وراء شهوات الدنيا ورغباته.

وذكر الطوسي الرجاء على ثلاثة أقسام، رجاء في الله، ومعناه أنّ العبد لا يرجو سوى الله وحده سبحانه وتعالى، ورجاء في سعة ورحمة الله، ورجاء في ثواب الله، والغرض منه انتظار الرحمة والغفران ونيل الجزاء والثواب في الآخرة من الله والتقرب إليه[2].إذ قيل «**إلهي أنت لطيف لمن قصدك في إرادته، ورجاك في مماته، في منتهى أمال الراجين أرجنا راحة عاجلة توردنا مناهل مسرتك وتؤدينا إلى قربك**»[3]. وبهذا فالرجاء مرتبط بحس الظن بالله والتوكل عليه في الأمور كلها كما ذكر علي كرم الله وجهه «**أرج الله رجاء ترى أنك لو أتيته بسيئات أهل الأرض غفرها**».[4]

---

[1]– سورة الكهف، الآية 110.

[2]– ينظر السراج الطوسي، اللمع، ص91.

[3]– المرجع نفسه، ص92.

[4]– مجدي محمد إبراهيم، التصوف السني حال الفناء بين الجنيد والغزالي، ص149.

6- الشوق:

وهو حال يرتبط بالحب، فهو الولع بالمحبوب وتمام التعلّق به، على حدّ تعبير "الإمام القشيري"«**اهتياج القلوب إلى لقاء المحبوب وعلى قدر المحبة يكون الشوق، وإنما الشوق لعبد قد تبرم ببقائه شوقا إلى لقاء محبوبه**»[1].

فالشوق إذا هيجان للقلب عند ذكر معشوقه والتّلذذ برؤيته، والهيام فيه على حدّ تعبير قول القائل:

ما يرجع الطرف عند رؤيته حتى يعود إليه الطرف مشتاقا[2].

فالمتصوفون يتغنّون بالشّوق فنحتوا أشعارا نورانية تنبض بقبس من الدلالات الروحية وخير مثال على ذلك قول الشاعر الفريد عمر بن الفارض:

يا ليل، مالك آخـــــــر يرجي ولا للشوق آخر.

يا ليل ظل، يا شوق دم أنى على الحالين صابر[3].

وأشار الطوسي إلى أنّ أهل الشوق على ثلاث أحوال «**فمنهم من اشتاق إلى وعد الله تعالى لأوليائه من الثواب والكرامة والفضل والرضوان، ومنهم من اشتاق إلى محبوبه من**

---

[1]- مجدي محمد إبراهيم، التصوف السني حال الفناء بين الجنيد والغزالي ، ص149.

[2]- المرجع نفسه، ص150.

[3]- المرجع نفسه، ص150.

شدة محبته وتبرمه ببقائه شوقا إلى لقائه، ومنهم من شهد قرب سيدة أنه حاضر لا يغيب فينعم قلبه بذكره»[1].

فالحال الأول للشوق مرتبط بما أعده الله عز وجل من كرامات لأوليائه الصالحين، أمّا الحال الثاني ففيه شدة الاشتياق لمعشوقه، والحال الأخير فيرتبط بتلذذ القلب بذكر محبوبه ومما لا شك فيه أنّ أروع ما في الشوق هو الاشتياق لله عز وجل ولرسوله الكريم، وقد أورد محمد صلى الله عليه وسلم في دعائه «**اللهم أني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة... وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في ضراء مضرة ولا فتنة مضلة**»[2].

3 – الكتابة الصوفية:

تعدّ الكتابة الصوفية مرآة عاكسة للمفاهيم المعرفية الصوفية، ولما يعتريهم من اختلاجات نفسية، وتعتمد هذه الكتابة على منظومة مصطلحية خاصّة، مع اللّجوء للإيحاء والرمز، فالصوفي نظامه الخاص مغاير لما هو سائد، فيتصف بالبعد عما هو دنيوي ليترجم عشقه الإلهي بما يمليه قلبه لإثبات المقدس ومشروعيته ولفت الانتباه لكلام المولى عزّ وجلّ، فهو يريد إيصال الرسالة كما ألهمها عليه الله تعالى، وعليه فأهم سمة في الكتابة الصوفية الغموض والمجاز.

---

[1]– الطوسي، اللمع، ص94، 95.

[2]– نقلا: عبد الله حسن زروق، قضايا التصوف الإسلامي، ص 93.

إن الغرض من الكتابة الصوفية، هو محاولة لإعادة بناء لغة إبداعية جديدة قوامها الإلهام والكشف للخروج عما هو سائد في النظام الاجتماعي، فتتعانق روح الصوفي بالذات الإلهية فينحتها رمزيا مع لغة الحب والهيام، وهي متعلقة بالأحوال النفسية التي يمر بها الصوفي ليتحول الإلهام إلى مصدر للكتابة، فيصبح النص دلالة على الجمال الخلاب لخالق الكون.[1]

وتصاغ التجربة الصوفية من ينبوع الحب بصدق العاطفة وعمق التجربة، مع الاهتمام بجمال الصورة والشكل، وقد نوه "أحمد أمين" عن الأدب الصوفي قائلا بأنه «**أدب غني في شعر، غني في فلسفته، شعره من أغنى ضروب الشعر وأرقاها، وهو سلس واضح وإن غمض أحيانا، وفلسفته من أعمق أنواع الفلسفة الإلهية وأدقّها، ومعانيه في نهاية السمو، تقرؤها فتحسب أنك تقرأ معاني رقيقة عارية لا ثوب لها من الألفاظ، خياله رائع يسبح بك إلى عالم كلّه جمال وعواطف صادقة.....**»[2]، فالأدب الصوفي ثري بأفكاره الفذّة ونظرته الفريدة لما يحيط به ممزوجة بمعاني دقيقة وخيال مميز وعاطفة جياشة فهو أدب المحبة والهيام، قال الشاعر:

---

[1]– ينظر: عبد القادر عزّة، مستويات اللغة الصوفية عند محي الدين بن عربي، مجلة حوليات التراث، ع10، جامعة تلمسان، الجزائر، 2010، ص42.

[2] – محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب في التراث الصوفي، ص 73.

إن الغرام هو الحياة فمت به صبا فحقك أن تموت وتعذرا[1]

فمن خلال هذا البيت الشعري نستشف صدق العاطفة وجمال الأسلوب والنغم الموسيقي العذب، فالروح تقدّم أسمى صور التضحية من أجل ذلك الهيام فتفديه بحياتها.

وبهذا تصبح الكتابة الصوفية تعبير عن الذات وليس مجرد أداة لبلوغ العشق الأبدي لمبدع الكون، وهي محاولة تخلق التداخل والتكامل، فيصير الكل يعبر عن الكل، يقول النابلسي:

أنا كل الوجود والكائنات أنا كل الأرواح كل الذات.

أنا كل العقول بل كل شي في جميع الأزمان والأوقات.[2]

فالقول بوحدة الوجود جعل الأبيات الشعرية يكتنفها الغموض، فيصبح الخرق سمة بارزة لهذه الكتابة الأدبية.

والكتابة الصوفية مجال ثري وواسع تكشف عن تعدد الأشواق وألوان الهيام التي تنبع من قلب الصوفي الذي يهدف للترقي إلى النور الإلهي عبر محطات، ولكل محطة كتابه خاصة، «**وتحديد الكتابة الصوفية أنّها: تهدف إلى تكوين إنسان كامل بطرق خاصة في**

[1] – محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب في التراث الصوفي ، ص 74.

[2] – علي الخطيب، اتجاهات الأدب الصوفي بين الحلاج وبن عربي، دار المعارف، د ط، القاهرة، ص 19.

سياق معيّن»[1]، أنّ اللّغة أداة للتعبير عن السلوك البشري ودليل عن التجربة الإنسانية في حياتنا اليومية.

وتتعدد الكتابة الصوفية بتعدد الطرائق الصوفية وفلسفتها الخاصة للوجود «**على أن الكتابة الصوفية أنواع متعددة: منها كتب طبقات الصوفية والشعر التعليمي الصوفي والرجز الصوفي، والشعر الذي قيل في غرض التصوف، والكتب التعليمية الصوفية والمؤلف الصوفي الذي يجمع بين دفتيه غالب أنواع الثقافة العربية وكأنه من كتب الأدب العام**».[2]فالكتابة الصوفية أرض خصبة وأيقونة أدبية أصيلة سواء في مجال الشعر أو النثر لتترك بصمة خالدة في التّاريخ الصوفي.

وفي مجال النثر فتحت الكتابة الصوفية بوابة عريضة وطويلة للغاية وقد نشأ في حوالي القرن الثالث هجري إلى غاية القرن الرابع عشر، فظهر للوجود فن جديد يسمى "فن المناقب" الذي ذاع صيته لا سيما وأنه ينوه بمناقب الأولياء الصالحين الصوفيين، وبالأخص في عهد المماليك والأتراك كما سادت الكتب التي تتمحور حول طبقات الصوفية[3].

---

[1] – محمد مفتاح، دينامية النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط 4، 2010، ص 129.

[2] – المرجع نفسه، ص 130.

[3]– ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب في التراث الصوفي، ص 75.

وما يلفت الانتباه في الأدب الصوفي أنه يزخر بأفكار فلسفية وحكم أجنبية تارة وبثقافات عدة ترجمة للعربية تارة أخرى وذلك عائد لصوفي في حدّ ذاته، فعلى سبيل المثال نجد أن «...**الحلاج يعرف الكيمياء والطب وذا معرفة واسعة بالمسيحية واليهودية والجيلاني يستعين بالفلسفة اليونانية بين الحين والحين في كتابه الإنسان الكامل**.....».[1]وبالتالي أدى ذلك إلى تعدد المعاني والمواضيع والأفكار الفّذة، فعن طريق تلك المعارف المختلفة كونوا معجم خاص بهم يعبر بصدق عن منظومتهم الفكرية.

كما أشار الغزالي إلى أنّ الصوفيين اتبعوا سنة الحبيب المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم، وفي الصدد يقول ابن الجوزي: « **وما كان المتقدمون في التصوف إلا رؤوسا في القرآن والفقه والحديث والتفسير، وذكر أنه إذا ظهر القلب انصبت عليه أنوار الهدى فينظر بنور الله**»[2].

فالصوفي متمسك بتعاليم الإسلام فيعبّر عن معانيه السامية في حلّة أدبية راقية ويظهر ذلك جليا في ما قاله ذو النون المصري: «**إلهي ما أصغيت إلى صوت حيوان ولا إلى حقيق شجر، ولا خرير ماء، ولاترنم طير..... إلا وجدتّها شاهدًا بوحدانيتك**.....».[3] فالصوفي

---

[1]– عبد المنعم خفاجي، الأدب في التراث الصوفي ، ص 76.

[2] – المرجع نفسه ، ص78.

[3] – المرجع نفسه، ص 79.

يطلق العنان لخياله ليسبح في هذا الكون الشاسع متأملا نعم الله على خلقه التي تشهد على ربوبيته، أنّ هناك خالق واحد وليس هناك مماثل ومكافي له.

كما يتسم الأدب الصوفي بالكلام الحكيم البليغ والناجم عن عمق التجربة بالأمور الحياتية وخبايا النفس البشرية، فلما سئل ابن السماك: «**ما الكمال؟ فقال: الكمال أن لا يعيب الرجل بعيب فيه مثله، حتى يصح ذلك العيب من نفسه، فإنه لا يفرغ من إصلاح عيب حتى يهجم على آخر فتشغله عيوبه عن عيوب الناس**».[1] فهذا الكلام فصيح كان نتاج تراكمات لخبرة واسعة وتجربة حياتية عميقة رسخت في الذهن المفاتيح الأساسية للإنسان الذي يشغل نفسه بتصحيح عيوب غيره.

وقد تفنن الصوفي في الحب الإلهي، فهذا ابن الفارض الملقب بسلطان العاشقين والذي يقول:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها قبل أن تدرف الكرم[2]

ففي هذا البيت إحالة إلى باب الوصل عبر مدراج السلوك من خلال رمز السكر والخمر، كما تناول النثر الصوفي الوصايا والحكم وهو غرض نبغوا فيه، وأجود ما قيل فيه النصيحة التي قدمها الإمام الأوزاعي إلى عبد الله بن على العباسي: «**إنك أصبحت من هذه**

[1] – محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب في التراث الصوفي، ص 80.

[2] المرجع نفسه، ص 80.

الخلافة بالذي أصبحت به، واللّه سائلك عن صغيرها وكبيرها، وفتيلها ونقيرها، ولقد حدثني عروة بن رويم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما من راع غاشا لرعيته إلاّ حرّم اللّه عليه رائحة الجنة فحقيق على الوالي أن يكون لوعيته ناظرًا، ولما استطاع من عوراتهم ساترًا وبالقسط فيما بينهم قائما، لا يتخوف محسنهم منه رهقًا، ولا مسيئهم عدوانا....»،[1] فهذه نصيحة دقيقة موجهة لعبد الله الذي تولّى إمارة الشام، وينبهه الصوفي إلى ثقل الأمانة الملقاة على عاتقه، فهو سيحاسب عن كلّ صغيرة وكبيرة أمام اللّه يوم القيامة، لذلك عليه أن يكون منصفا لرعيته، محسنا لهم، ومبعدًا عنهم السوء.

أما في مجال المناجاة فقد تفنن المتصوفة فيه، فها هو جلال الدين الرومي يناجي ربه فيقول: «**يا من هو عزاء النفس في ساعة الغم والحزن، يا من فيه غناء الروح عند مرارة الفقر والعوز..... لو أني وهبت ملكا لا يبلى، أو أن كنزا خفيا فتح لي يحوي كل ما في الوجود لسجدت لك روحي.....»**[2].

فالشاعر هنا يناجي ربه ويسمو بحبه للعشق الإلهي عمّا سواه، فالهيام بمحبته هو شغله الشاغل، وكما يعتبر الشعر الصوفي مجالاً واسعًا وغزيرًا اتخذه المتصوف كأداة لترجمة

[1] – محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب في التراث الصوفي ، ص 103.

[2]– المرجع نفسه ، ص 114.

تجربيهم النفسية وتصوراتهم العقلية، ومن أمثلة الشعر الصوفي ما ورد عن البوصيري وهو ألمع شعراء المديح النبوي:

إنّ النبي محمدًا من ربّه كرمًا بكل فضيلة ممدوح

اللّه فضّله ورجح قدره فليهنه التفضيل والترجيح[1]

فهو يمدح النبي محمد صلى الله عليه وسلم ويعدّد خصاله ويمجدها، ويعتبر الحب كشعار من أهم خصائص الشعر الصوفي، وذلك يقول ابن الفارض:

وعن مذهبي في الحب مالي مذهب وإن ملتُ يومًا عنه فارقت ملتي[2]

فالشاعر هنا يُصّرح بأنه يتخذ من المحبة شعار له، ومذهبا حياتيا يقبل عليه ولا يحيد عنه، فالكتابة الصوفية تتعّدى الألفاظ والكلمات المدلول اللغوي المتعارف عليه من خلال اللّجوء للرمز والتأويل، فلغة الصوفي مطلقة مما يخلق تراكيب جديدة.

4- الرّمز الصوفي:

تتميز اللغة الصوفية بكونها لغة رمزية زاخرة بالإيحاءات والإيماءات، فهي ذات دلالات مختلفة فيها مزيج من الخيال والتشبيه، هذا ما جعلها تتسم بصفة الغموض، فاستخدام الرمز

[1] – علي الخطيب، اتجاهات الأدب الصوفي بين الحلاج وبن عربي، ص 86.

[2]– محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب في التراث الصوفي، ص 178.

لديهم ليس بطريقة عفوية، وإنما الموافق هي التي تفرض تلك الرموز وقد عرّفه السّراج الطوسي: « **الرمز معنى باطن مخزون تحت كلام ظاهر، لا يظفر به إلا أهله**»[1].

وقد أعطى المتصوفة الأهمية الكبيرة للرمز كونه الأساس الذي ينبني عليه أدبهم فاستطاعوا بهذا إنشاء وتكوين لغة خاصة بهم وحدهم، حيث عبروا بها عن حياتهم الروحيّة وإبداعاتهم كذلك نجد بأنّ طبيعة التجربة الصوفية هي التي فرضت على المتصوفيين هذه اللغة الرمزية والتي تتسم بالغرابة والإبتعاد عن البساطة والوضوح كونها قائمة على الذوق الفني والكشف.[2]

وكما تجدر الإشارة إلى أنّ لجوء الصوفيين إلى ظاهرة الرمز في تجاربهم يعود إلى صعوبة التّعبير عمّا يجول في خاطرهم بكل صدق وحق، وهذا ما أشار إليه أدونيس في كتابه "الثابت والمتحول" «**فرض على التجربة الصوفية طريقة جديدة في التعبير، ذلك أنه كشف عن مناطق لا تحيط بها اللغة، لأنها من غير طورها ومن هنا لم يكن بد من خلق لغة ثابتة داخل اللغة الأولى، تمّكن الإشارة إليه رمزًا، والتعبير بالرمز هو وحده الذي يمكن أن يقابل الحالة الصوفية التي لا تحدها الكلمة..... فكما أنّ الحالة الصوفية لا يحكمها**

[1]– الطوسي، اللمع، ص 414.

[2] – ينظر: إبراهيم محمد منصور، الشعر والتصوف الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر، دار الجبل، د ط، كلية الآداب، جامعة طنطا، 1995، ص 55.

مقياس الحس والعقل، كذلك ليس في مقدور لغة الاصطلاح والوضع أن تعبر عما يتناقض مع الاصطلاح والوضع، وهكذا فإن لغة الصوفي هي بالضرورة الباطنية – سرية- وهي شأن جميع الأشياء السرية الباطنية، لا يمكن فهمها بمنطق الظاهر، وإنّما يجب فهمها بمنطقها هي منطق الباطن وحقائقه وأبعاده»[1].

ضف إلى ذلك الإمام القشيري فقد علل سبب استخدام الرمزية في كلام الصوفيين إذ يقول: «**إن كل طائفة من العلماء ألفاظًا يستعملونها، انفردوا بها عن سواهم وتواطؤ عليها لأغراض لهم من تقريب الفهم على المخاطبين بها، أو تسهيل على أهل تلك الطائفة في الوقوف على معانيهم بإطلاقها وهذه الطائفة يعنى –الصوفية- يستعملون ألفاظا فيها قصدوا إليها الكشف عن معانيهم لأنفسهم والإخفاء والستر على من يبايذهم في طريقتهم لتكون معاني ألفاظهم مستبهمة على الأجانب غيرة منهم على أسرارها أن تشيع في غير أهلها»[2].**

هذا يدل على عدم استيعاب الصوفيين لكل مدركاتهم وأحاسيسهم تجاه الخالق عّز وجل، دفع بهم إلى استخدام الرمز، كذلك هناك إشارة إلى صعوبة فهم أقوالهم باستخدامهم لرّمز مما يضمن لهم دخول الغرباء إلى أدبهم والتعرف لمقتضى كلامهم.

---

[1] – أدونيس، الثابت والمتحول، بحث في الإتباع والإبداع عند العرب، دار العودة، ط 2، بيروت، 1979، ص 95.

[2] – نقلا عن علي الخطيب، اتجاهات الأدب الصوفي بين الحلاج وابن عربي، دار المعارف، د ط، القاهرة، ص 65.

كذلك يمكن القول بأنّ استخدام الرمز في أدب الصوفيين سواء شعرها أو نثرها كان لهدف إبراز وإظهار معاني أخرى باطنية غير المعني الظاهري الذي ترمي له، وبالأخص تلك الرموز النابعة من نتاج حالة إنسائية خاصة[1].

ومن الرموز التي استخدمها المتصوفة في كتباتهم نجد رمز المرأة فكانت ولا تزال مثالاً للحب والرومانسية والتغزل بها، فكانت مصدر إلهام الشعراء الجاهلين في مطالع قصائدهم فأكثروا في الحديث عيها وتفننوا في وصفها وذكر محاسنها وغير ذلك، فقد جاء المتصوفة وأدخلوها في شعرهم رغبة للتعبير عن مدى تفردهم إلى الذات الإلهية فنجد من أمثلة ذلك ما قاله ابن الفارض في قصيدته:

أبثثتها ما بي، ولم يك حاضري رقيب بقا حظ بخلوة جلوة

وقلت وحالي بالصّبابة شاهد ووجدي بها ما في والفقد مثبتي[2]

الشّاعر هنا تعمّد استخدام صفات المرأة لا للدلالة عليها وعلى محاسنها وحبه لها، وإنما لها معنى باطن وخفي، فهو في محاولة التذاذ المحبة الإلهية والتقرب إليه، يبن هنا صورة العاشق للجمال الإلهي.

---

[1] – ينظر: أسماء خوالدية، الرمز الصوفي بين الإغراب بداهة والإغراب قصدًا، دار الأمان، ط 1، الرباط، 2014، ص 26.

[2] – نقلا: عن إبراهيم محمد منصور، الشعر والتصوف، ص 57.

وكما تطرق الصوفيون أيضا إلى ذكر الخمرة للتعبير عن المحبة الإلهية:«**فالسّكر لّذة لا يعرفها إلاّ من ذاق تلك الخمرة..... فهي التي تخلق لدى الصوفي طربًا وتلذذًا**»[1].

فمن المعروف أنّ الخمر رجس من عمل الشيطان، وقد نهى الإسلام عنه، لكن ذكر في القرآن الكريم أنّ كلمة خمر ستكون نهرًا يتلذذ منها الشاربون لقوله تعالى :«**وأنهار من خمر لذّة للشّاربين**»[2] والمتصوفة أنفسهم قد عمدوا إلى مثل هذه الخمرة في أشعارهم يقول ابن الفارض في ذلك:

واشرب سلافة خمرها بخمارها واطرب على غرد هنالك ينشد

وسلافة من عهد أدم أخبرت عن جنة المأوى حديثًا يسند[3].

يظهر الشّاعر هنا مدى شوقه ونشوته للذّات الإلهية، فالخمر مصدر للسكر وفقدان العقل، هذا ما حدث لهذا الشاعر من جراء حبه لله فهو في درجة الهذيان والذوبان مع روح الله.

---

[1] – غريب محمد علي، في التصوف الإسلامي، ص 47.

[2] – سورة محمد، الآية 15 .

[3]– نقلا: عن إبراهيم منصور، الشعر والتصوف، ص 61.

الفصل الثاني: المكون الصوفي في روايـــــة "حارس العشق الإلـهي".

1 – دراسة العنوان.

2 – دراسة الغلاف.

3 – دراسة الشخصيات.

4 – الاقتباسات.

5 – تجليات التراث الصوفي.

1 – دراسة العنوان:

يعدّ العنوان العتبة الأولى لفهم محتوي النص، فعن طريق فك شفرته والإحاطة بما يحمل من دلالات يسهل على القارئ رصد ما يدور داخل المتن، فهو بهذا يعطي رموز وإحالات لفهم أغوار النص : «**فالعنوان إذا هو مفتاح تقني يجسّ به السيميولوجي نبض النص، ويقيس به تجاعيده ويستكشف ترسباته البنيوية وتضاريسه التركيبية على المستوين الدّلالي والرمزي**».[1]هذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أهمية العنوان أثناء عملية التحليل لأي نص إذ يعدّ المفتاح الرئيسي والأساسي لاستكشاف خبايا النص عن طريق استنطاق العنوان.

وإذا نظرنا إلى العلاقة التي تجمع بينهما نجدها علاقة وطيدة تكاملية إذ يسهل علي الباحث السيميولوجي توضيح واستكشاف معانيه الخفية والظاهرة.

وبالعودة إلى روايتنا نجدها ذات عنوانين عنوان رئسي تحت اسم "حارس العشق الإلهي" يليه مباشرة العنوان الفرعي الذي هو "التاريخ السري لمولانا جلال الدين الرومي" وإذا نظرنا إلي دلالة هذا العنوان نجده جملة اسمية مركبة، فحارس العشق الإلهي يحمل دلالة إيحائية قد تحيل إلى مرجع ديني إسلامي فهو شخص باحث عن الذات الإلهية والحب

[1]– جميل حمداوي، سيميوطيقا العنوان، ط1، 2015، ص9.

الإلهي، لأنّ هذا ما يختص به المتصوفة فهم بعيدون كل البعد عن الحياة العادية وزخرفها والخلو للعبادة والهيام في الحب الإلهي.

أما إذا نظرنا إلى العنوان الفرعي فنجد فيه نوعا من التشويق ولفت الانتباه، فالكاتب بهذا الاسم يجعل القارئ يرغب في البحث عن تلك الحياة السريّة التي أخفاها جلال الدين الرومي، ويمكن أن تتجلى تلك السريّة على مستوى العلاقة العاطفية أو على المستوى الديني كما يمكن أن تكون نتيجة لصراعات تاريخية عاشها في فترة من فترات حياته، وبالتالي فالكاتب من هنا لم يعطي لنا مفهوماً كاملا لهذا العنوان، إذ يبقي بنية مغلقة دون محتوى الرواية.

2 - دراسة الغلاف:

يعدّ الغلاف بمثابة بطاقة تعريف وتأشيرة للولوج إلى داخل العمل الأدبي الذي شكّله الكاتب لسرد أغواره.

والواجهة الأمامية للغلاف تحتوي اسم الكاتب "أدهم العبودي" مكتوب بخط النسخ الأسود تعلوه زخرفة بهية الطلعة، تحاذيها كلمة رواية مكتوب بخط النسخ الأبيض للدلالة على نوع الجنس الأدبي.

وتحت اسم الكاتب جاء العنوان الرئيسي"حارس العشق الإلهي"، يليه العنوان الفرعي"التاريخ السري لمولانا جبال الدين الرومي"، وتحته صورة لشيخ كبير ملامح الوقار والهيبة باد على محيّاه، وهي تجسيد لصورة جلال الدين الرومي، وعلى يسار الصورة ذكر

رقم الطبعة وهي الطبعة 15 وتحت الصورة ذكر مكان الطبع وهو المصري للنشر والتوزيع أما الواجهة الخلفية فمجرد تابع للغلاف.

وبما أنّ الألوان جزء لا يتجزأ من الغلاف، كان لزاما علينا الوقوف على طبيعة هذه الألوان لإيضاح العلاقة الجوهرية بينها وبين محتوى الرواية، فغلاف الرواية جاء باللون الأصفر للدلالة على طبيعة الأماكن التي جرت فيها أحداث الرواية، أما العنوان الرئيسي فكتب باللّون الأزرق وهو لون الهدوء والصفاء والسكينة، وهذا يدعونا لتّساؤل عن شخصية ذلك الحارس وهل هو جدير بمميزات هذا اللّون، هل هو حقا هادئ وصافي الذّهن ويحمل بابا نقيا، وهذا ما نستنبطه من الرواية: «**كنت أركض ويركض معي الأولاد من خلفي، كنت أسبقهم لحماية ولّده الشغف والإيمان والطموح، وانكفأت على وجهي وقمت وتعثّرت في الطّين واستكملت**»[1].

والعنوان الفرعي للرّواية "التاريخ السرّي لمولانا جلال الدّين الرّومي" جاء تحت العنوان الأصلي ومكتوب بخط النّسخ الأسود، وهو لون الأسى والحزن والحيرة والألم وذلك ما يتجلّى في الرّواية: «**باشرنا التحرّك بنفوس منهزمة، وكنت أرى الأشياء على غير طبائعها انتفضت صفات بعينها من أصل الأشياء، وحادت أمور عن أمور وضلّت روائح الموتى**

[1]– أدهم العبودي، حارس العشق الإلهي، المصري للنشر والتوزيع، ط15، ص 69.

تعاقر أنفي قحلت روحي تحوّلت صحراء تسكنها الهواجس و الهلاوس والظّنون ويسكنها الفقد...»[1].

فالمجازر الّتي خلّفتها جيوش التّتار والقائمة اللاّنهائية لضحاياها، والجثث المتكدّسة فوق بعضها البعض خلّفت لدى جلال الدّين الرومي ومرافقيه حالة من الذّعر والخوف واللاّمعقول لاستنباط وفهم الأسباب التي أدّت إلى هذه الكارثة ممّا رسم نظرة سوداويّة، وحالة من الوساوس والقلق والانفصام.

واختار أدهم العبودي بوضع صورة جلال الدّين الرّومي في قرص أزرق للدّلالة على الجدّية والصّلابة والأمان والنجاح، وهذا ما يتّضح من خلال الرواية: «**أبسِط يدك إستدع قوى البرق بين يديك...وامنح البشر إحساس اليقين اجعلهم يشعرون بمعنى الحياة...»[2].**

أما عمامة "جلال الدّين الرّومي" فممزوجة باللونين الأبيض والبنّي مع إلقاء طرف العمامة للخلف للدّلالة على الهيبة، كما يلبس قميص بنفسجي يوحى بالفرادة والتميّز وهو أيضا لون يرمز للرّوحانيات إلى جانب الفخامة والجاذبية.

أما العباءة فكانت باللّون الأخضر الّذي يرتبط بالطّبيعة ويُحيل إلى الرّاحة والسّكينة وجاء في الرّواية: «**وعلى ضفّة بحيرة "أوبروك" أجلس، أتأمل أقواس قوس قزح...وألوان**

[1]- الرواية، ص128.

[2]- الرواية نفسه، ص361-362.

البحيرة تتبدّل بتغيّر ساعات اليوم، ففي الصّبح لونها أزرق، وفي الظّهر أبيض، وفي العصريّة أخضر...».[1]

3- دراسة الشخصيات:

استخدم الكاتب مجموعة من الشخصيات التي ساعدت على تنمية الأحداث والوقائع فهي شخصيات محركة للحدث والتغير باعتبارها من أهم المكونات التي يقوم عليها العمل الروائي، كونها المسيرة للأحداث والأفعال، فلا يمكن أن نتصور عمل روائي دون وجود شخصيات تحرك الأحداث.

عمد الكاتب في هذه الرواية إلى رسم أربعة شخصيات رئيسية تدور حولها الرواية إذ نجد أنّ كل شخصية تسرد ذاتها بنفسها.

أ - جلال الدين محمّد بلخي:

ويدعي أيضا بالرومي، سمي بالبلخي نسبة إلي مسقط رأسه بلخ، هذا الاسم من الأسماء المركبة فجلال الدين مقتبس من اسم الله عزّ وجلّ وعظمته، أمّا محمد فهو منتسب إلى خير خلق الله محمد صلى الله عليه وسلم، فهذه الشخصية إذن توحي إلى القرب لله تعالى ونبيه، وهو ابن بهاء الدين الملقب بسلطان العارفين وكان رجل دين وسعة علم كبيرة حيث استفاد الرومي منه كثيراً.

[1]- الرواية، ص237.

وفي الرواية إشارة إلى أنه كان إنسانا عابدا ومتمسكا بالعقيدة الإسلامية «**كنا نحفظ القرآن في جامع بلخ الكبير ويصلي أبائنا الفجر ونصلي معهم ثم نجلس في صحبة الإمام ويصعد بصوته من قصار السورة سورة سورة**».[1]

من هنا يظهر لنا مدى حبه الشديد للدين والمعرفة، فالسارد هنا يسرد هذه الشخصية مستعينا بحياته الخاصة، فنقل لنا حياة الرومي منذ طفولته إلى أن صار صوفيا عابداً وكما تحدث عن المراحل التاريخية التي مرّ بها ويسردها على أنه عايش وشاهد هجومات التتار والمغول للعالم الإسلامي «**كان جيش التتار قد اقتحم مدينة ترمذ شمال مدينتنا قتلوا قرابة آلاف رجل، وانتهكوا مساجد المدينة وأثارها دخلوا البيوت وأخذوا يغتصبون النساء أمام أعين رجالهن...يوم المجزرة يوم مشهود سيدوّنه تاريخ العالم فيما بعد، وسيظل شرخاً دامياً في جبهة الوطن**»[2]. وبهذا فالكاتب يصف لنا شخصية الرومي ورحلته المأساوية التي تعرض إليها بلده من جراء الغزو المغولي وتر حاله من مكان لآخر هروباً من العدو.

تلقى التدريس على يد علماء وفقهاء أمثال الشاعر فريد العطار والذي أهداه ديوانه "أسرار نامه" وقد تأثر به إلى حدّ كبير فأخذ ينهل من علوم الفقه والتصّوف والقيم الإسلامية، كما استفاد من تجارب برهان الدين محقق ترميذي.

---

[1]- الرواية، ص29.

[2]- الرواية نفسها، ص70.

تزوج جوهر خاتون وأنجب منها ولدين سلطان ولد وعلاء الدين شبلي، وبعد وفاة مرشده برهان الدين أصبح يلقي دروسا في الوعظ والفقه وبهذا جمع عدداً كبيراً من الناس إليه من مختلف الديانات، وكما أنه أخذ من علم محي الدين عربي الذي أعطاه كتاب الفتوحات المكية.

كان الرومي صاحب انجازات كثيرة منها حديثه عن الرّقص الدائري «**طورت فكرة الرّقص الدائري التي وصلت درجة الطقوس وقد شجّعت على الإصغاء للموسيقى وأسميت هذه الطريقة "الصوفية السّماع" إذ يقوم الشخص بالدوران حول نفسه في نزهة روحية تأخذ الإنسان في رحلة تصاعدية من خلال النفس والمحبة للوصول إلى الكمال، والرحلة تبدأ من الدّوران الذي يكبّر المحبة في الإنسان فتخفت أنانيته، ليجد الحقّ الطريق للوصول إلى الكمال**»[1].

فالمتصوفة يعتبرون هذا الرقص والاستماع إلى الموسيقى الروحية كوسيلة للوصول إلى الله تعالي، والتفرد له بالطاعة دون سواه إذ نجد أن هذا الرقص له دلالات كثيرة لديهم فترمز الثياب البيضاء التي يرتدونها إلى الأكفان، وكما تدل المعاطف السود إلى القبر وأمّا

[1]– الرواية، ص337.

بالنسبة إلى القبعات فهي تحيل إلى شاهدة القبر، وتوحي الدورات التي يدورنها إلى مراحل التقرب لله[1].

كما أشار الكاتب إلى زواجه الثاني من كيرا والتي أنجبت له أمير العلم الشبلي وابنته الوحيدة ملكة خاتون، وقد اعتبر الرومي كيرا كوسيلة لتقربه لله **«بسب كيرا انغمست في استعمال الموسيقى والشعر والذّكر كطريق مضمونة للوصول إلى الله»**[2].

ب- محمّد بن ملك داد التبريزي :

أو المعروف بشمس التبريزي اسمه يرمز إلى الصفاء والنقاء كما أنه يوحي إلى النور والضياء، عمد أدهم العبودي في بداية الرواية إلى سرد أحداث حياة التبريزي في مدينة تبريز التي هي أرض ولادته ونشأته.

يعد من الشخصيات الهائمة في حبّ الله والبحث عنه فقد أشار السارد إلى أنّه كانت تأتيه رؤى يرى فيها الله وملائكته ويكلمهم **«وأشار بأصبع من قرمزي إلى يمينه، فدرت بعيني ورأيت جلالته جالساً على العرش، له عرض سماوات وعمق أراضٍ، بدالي متكشفاً**

[1]- ينظر: فرح ناز رفعت جو، العرفان الصوفي عند جلال الدين الرومي، دار الهادي، ط1، بيروت، لبنان، 2008، ص224.

[2]- الرواية، ص336.

كطاقة من ضياء وانبثقت، لم أميز حدوده، بل ميزت كنهه، وبدت عيناه شمسين متألّقتين، لم يفتح فمه ليخاطبني، بل خاطبني بشعاع من نور».[1]

من هنا يتضح لنا مدى حبه لله وتقربه إليه ومنجاته في البحث عنه فهو دائما في خلوة بعيداً عن الناس، انفرد للبحث عن معشوقه الوحيد ولم يؤمن أحدّ بالرؤى التي كانت تأتيه وهذا ما جعله يلقبونه بشمس المجنون فأصبح يرتحل من مكان لآخر حتى أطلق عليه الدرويش المتّجول العابد والباحث عن الله في أرضه الواسعة، اشتغل نجاراً للُحود، كما اتخذا من قراءة الكفوف وسيلة لكسب قوته والعيش، وكان لقاءه مع ركن الدين السجاسي ذات منفعة علمية فقد أخذ عنه التصوف والدين.

أظهر السارد أيضا تعرفه على كيميا والتي أصبحت زوجته فكان يهم في حبها وكان يأمل أن تنجب له ولداً لكنها توفيت وتركت له هذا الولد مجرد حلم لم يتحقق، وبهذا فاعتبر وفاتها وسيلة للتقرب لذات الإلهية بعد ما أظهر سخطه على الله «**في ليلة موت كيميا توسلته انتحبت ورجوته أن يهبط، لو أنك هنا عدّ بها إليَّ، لو أنّك عشيقي لا تفجعني**».[2]

يظهر من هنا مدى حزنه ومعاناته بسبب فقدانه لزوجته فهو يناجي الله لكي يعيدها إليه مرة أخرى، كما صور لنا الكاتب تنقله باحثا عن الله وبحثه أيضا عن الرفيق الذي يريد

[1]– الرواية، ص55.

[2]– الرواية نفسها، ص249.

أن يعلمه من تعاليم الدراويش والتصّوف «**لابد أن رفيقي رجل الحلم موجود في مكان ما على وجه هذه الأرض**»[1].

ليصل في نهاية المطاف إلى الالتقاء به والتوحدّ معه بحيث يغير حياته إلى عابد ومتصوف ودرويش وهو الرومي «**أنا وأنت شمس وجلال، أو جلال وشمس أو روح العشق**»،[2] ويظهر التبريزي هنا أنّ سرّ توحدهما هو المؤدي للعشق الإلهي فهو لا يهتم بالأسماء ولا الأديان ولا شيء آخر و إنما الإتحاد بينهما هو الذي سيوصلهما إلى معشوقه الأوحد.

ج – شاهين:

يعد من الشخصيات الرئيسة في الرواية، وصفه السارد بأنه ضرير لا يبصر و له لحية طويلة وطيب القلب، وكان يهيم في حبّ كيرا المسيحية والذي لم يبح لها بذلك، فكان حبا من طرف واحد فعاني الكثير من جراء هذا الحب فعاش العذاب الشديد بسبب غيرته منها حتى أنّه لقبها ببنت النهار فكان يرى فيها ضوء النهار الذي لم يستطيع رؤيته بعينيه ويشم فيها رائحة الشمس وحرارتها وقد اشتدّ به الولع إلى درجة أنه يراها في الحلم إذ يقول «**كانت عارية في الحلم إلاّ من شالٍ على كتفها، وكان جسمها يضوي وكانت تبتسم في وقار لا**

[1]– الرواية، ص290.

[2]– الرواية نفسها، ص361.

يليق بالعرى، هبطت عليّ من أعلى، فباشرت معها كل مخاوف الجسد وهواجسه، قبلتني وكانت لمساتها كالحرير ليس على الأعمى أن يغرق في وصف ملمس الأشياء، لكن الأعمى يشعر باشتعال الجسد يشعر بأنّ الخطية لا تكون خطية إلا إذا تجسّدت في الواقع وليس في الأحلام من حرج ابتلعتها بداخلي، وتشرب جسدي بكل روائحها»[1].

من هنا يظهر لنا مدى تعلّقه الشديد بها، لكنه يبقى مجرد حلم بعيد عن التحقيق، يرى أن مثله خلق لأجل العذاب لا الحب، كون الأعمى لا يحق له الشعور بالحب ولا التفكير فيه نجد أن أدهم العبودي استخدام هذه الشخصية للتعبير أكثر عن مولاه شمس التبريزي الذي صادفه في قونية وعلمه من التصّوف وجعله درويشا مثله، فكان ملازما لشمس في كل شيء فهو الذي ينقل قواعد عشقه الأربعون إذ يقول «**يوجد معلّمون مزيفون وأساتذة مزيفون في هذا العالم، ربما أكثر عدد من النجوم في الكون المرئي فلا تخلط بين الأشخاص الأنانيين اللذين يعملون بدافع السلطة وبين المعلمين الحقيقيين، إذ أن المعلم الرّوحي الصّادق لايوجه انتباهك إليه ولا يتوقع طاعة مطلقة أو إعجابا تاما منك، بل يساعدك على أن تقدر نفسك الداخلية وتحترمها، إن المعلّمين الحقيقيين شفافون كالبلّور يعبر نور الله من خلالهم»**[2].

[1]- الرواية، ص120.

[2]- الرواية، ص161.

جعل العبودي شاهين الشخصية الذي يروي لنا هذه القواعد التي استقاها التبريزي واعتبرها الركيزة الأساسية التي يعتمدها الدراويش لبلوغهم درجة العشق الإلهي، وكما وصفه على أنه كان خادما أمينا له، فعلى الرغم من فقدان بصره إلا أنه كان يتولى أمور البيت فكان يعدّ له الله الطعام ويرتّل له القرآن وغير ذلك من الأعمال.

د – كيرا:

يرمز اسمها إلى النقاء والصفاء وهذه الصفات تتجلى في شخصيتها في الرواية، فقد وصفها السارد على أنها فتاة خجولة ولم يذكر لنا أي صفات جسمانية لها، عاشت وسط عائلة مسيحية مليئة بالظلم، والاستبداد خصوصاً بعد وفاة والدها وبقيت مع أمها وحيدتين في هذا العالم، وتعرضها للاغتصاب من طرف الراهب في الدير جعل حياتها مليئة بالحزن والعذاب، فقد عاملها بكل قسوة وحقارة وهذا ما أشار إليه السارد في الرواية «**تخشبت أنامله في لحم ذراعي... كانت أنامله مرتعدة وهي تزحف فوق مؤخرتي ثم بأسنانه راح يمزق رقبتي في نهم، ويجري بلسانه إلى صدري**»[1].

كل هذه المعاناة لفتاة صغيرة في مقتبل عمرها ولم تجد من يساعدها في المصيبة التي حلت بها، وبالتالي هذه التجربة التي عاشتها جعلتها كارهة للرجال وحتى حبيبها أزار الذي كانت تحبه أصبحت تكرهه وتنفر منه، لكن رغما عنها وطلباً لرغبة أمها قبلت الزواج منه وعاشت معه أسوء ليلة في حياتها، على الرغم من أنه زوجها إلا أنه اعتدى عليها بكل

[1]– الرواية، ص212.

وحشية وحقارة، فلم يشعرها بحلاوة الحب والعشق الذي كانت تطمع إليه، وإنما جعل من جسدها وسيلة للمتعة «**لم يكن ينصت، ولم يكن ينظر لي، كانت عيناه تنظران في تشتت وعصبية فيما حولنا كنت أريد أن يترفق بي قليلا، كانت تجربة من سخط مكين**»[1].

فعلى الرغم من توسلاتها له إلا أنه لم يبالي بها وراح يستكمل مشواره، وبهذا ترك لديها أثراً سلبيا في حياتها وبالتالي تطلقت منه لتجد السلام والأمان مع الرومي الذي ستتعرف عليه ويتزوجها.

4 – الاقتباسات:

ممّا لاشكّ فيه أن المؤلف أثناء تأليفه الكتب يبذل جهدا كبيرا ووقتا كثيرا لإيصال ثمرته الإبداعيّة إلينا بكلّ رقّة وحزم، لذا كان لزاما على كل باحث أن يستفيد من تلك المؤلّفات، وفي سبيل ذلك ظهر مصطلح الاقتباس.

والاقتباس هو جعل مقولة مأخوذة من كتاب بين علامتي التّنصيص، مع ذكر كاتب المقولة الأصلي، وعليه فإنّ الاقتباس هو: «**نقل نصوص من مؤلّفين أو باحثين آخرين ويكون ذلك بصورة مباشرة أو غير مباشرة، أو بصورة جزئية أو بإعادة صياغة والهدف هو تأكيد فكرة معيّنة أو توجيه نقد أو إجراء مقارنة...**»[2].

---

[1]– الرواية، ص299.

[2]– مبتعث للدراسات والاستشارات الأكاديمية

http:llwww.mobt3ath.com>dets>title

ومن هذه المقولة يتّضح لنا أن للاقتباس أنواع عدّة، منها ما يكون بنقل حرفي للنّص المقتبس أو خلاف ذلك، فالعكس صحيح(اقتباس غير مباشر).

والاقتباس على مجالات عدّة منها ما يكون أدبيّا أو تاريخيّا أو دينيّا وغير ذلك منها ما جاء في الرواية:

أ – الاقتباسات الأدبيّة:

لقد زاول معظم الكتّاب الاقتباس في نتاجهم الأدبي منذ الأزل، وفي رواية "حارس العشق الإلهي"لأدهم العبّودي نستشفّ عدّة اقتباسات معظمها منقولة من رواية" قواعد العشق الأربعون لإليف شافاق، والتي ترجمها للعربيّة "خالد الجبيلي" كما استغل أيضا أسماء الشّخصيّات الأساسيّة كشخصيّة جلال الدّين الرّومي، وشمس الدّين التّبريزي، وكيميا وكيرا إضافة إلى عنوان الفصل الأخير لرّواية المعنون بالعدم.

والاقتباس في النص الرّوائي مستحب لإيضاح المضمون وإثرائه وجاء في رواية حارس العشق الإلهي: **«رأيت اللّه، حدّثني عنكم ورأيت ملائكة، رأيت أسرار العالمين، العالم العلوي والسّفلي، ظننت أنكم رأيتم ما رأيت، ولكن سرعان ما أدركت أنّكم لم تروا».**[1]

وهو اقتباس من رواية قواعد العشق الأربعون لإليف شافاق: **«رأيت اللّه رأيت ملائكة رأيت أسرار العالمين العلوي والسّفلي، ظننت أنّ جميع الرّجال رأوا ما رأيته، لكن سرعان ما**

[1] – الرواية ص63.

أدركت أنهم لم يروا»[1].

والمعنى أنّ شمس الدّين التّبريزي يتكلّم عن رحلته الصّوفيّة وأنّه وصل إلى درجة الكشف حتّى أنّ الصّورة النّورانيّة للّه لا تفارق عيناه، فكان يتوهّم رؤيته للملائكة الكرام إذ يرى جوهر الأشياء فانكشفت له خبايا العالم السفلي و العالم العلوي، وهي أسرار لا يُزال عنها الحجاب إلاّ لصوفي.

كما ورد أيضا في رواية "حارس العشق الإلهي": **«لقد فدح مجنونك وخبلك يا شمس جموحك ليس من الإسلام في شيء، أنت درويش فاسق، يملؤك رجس وكفر وزندقة»**[2]وفي رواية إليف شافاق تقول: **«إنّه رجل زنديق لا يمتّ بصلة إلى الإسلام، إنّه عنيد جامح يكتنفه الرِّجس و الكفر إنّه درويش مارق»[3].**

وهو توبيخ وعتاب موجّه لشمس التّبريزي بسبب معتقداته الصوفيّة ورُآه الروحيّة فاتّهم بالانحراف عن الطريق المستقيم، وانتهاك الشّريعة، وبالإثم والبعد عن الإيمان، وعدم التصديق باللّه ولا بحساب الآخرة، وأدى ذلك إلى هلاكه.

---

[1]– إليف شافاق، قواعد العشق الأربعون، تر: خالد الجبيلي، طوى للنشر والإعلام، ط1، 2012، بريطانيا، لندن، ص5.

[2]– أدهم العبودي، حارس العشق الإلهي، ص63.

[3]– إليف شافاق، قواعد العشق الأربعون، ص37.

وهناك تناص آخر استخدمه العبودي مع رواية إليف شافاق في مشهد قتل شمس التّبريزي إذ يقول في ذلك: **«في هذا النّهار قتلوا مولاي»**[1]وتجلّى في قواعد العشق الأربعون بعبارة **«لقد قتلوه! لقد قتلوا شمسا».**[2]

نستخلص ممّا سبق بأن آراء التّبريزي وتأملاته جعلته يكتسب أعداء أشدّاء عازمين على قتله والتخلص من أفكاره المنافية لعقيدتهم، ويلاحظ أيضا في رواية أدهم العبودي قوله **«أعطني كفّك»**[3]، وهو كلام مقتبس من رواية إليف شافاق في قولها **«سأقرأ لك كفّك»**[4]**.**

فمن المعروف أن شمس كان يتّخذ من تصفّح راحة أيدي النّاس كوسيلة لنيل قوت يومه وهي طريقة تتطلّب الدّهاء والفراسة والقدرة على اكتشاف أسرار الغير والغوص فيها للتّنبؤ بمستقبلهم وحياتهم.

فلمّا سُئل التّبريزي عن سرّ تلك المعرفة أعطى إجابة وافية ونجدها في رواية "حارس العشق الإلهي" **«في اللّيلة الماضية، حضرتني رؤيته مرحة، ثمّ وجدتني أنحدر فجأة تسلّلت بجذع شجرة معلّقة في السماء»**[5].أمّا في رواية إليف شافاق فجاء على صيغة **«منذ**

---

[1]– حارس العشق الإلهي، ص61.

[2]– إليف شافاق، قواعد العشق الأربعون، ص44.

[3]– حارس العشق الإلهي، ص 223.

[4]– إليف شافاق، قواعد العشق الأربعون، ص50.

[5]– حارس العشق الإلهي، ص285.

طفولتي كنت أرى رؤى وأسمع أصواتا، وكنت أكلم الله، وكان يرد على الدوام وفي بعض الأيام كنت أصعد إلى السماء السابعة بخفة شديدة»[1].

هذه من الرؤى التي اشتهر بها التبريزي ونجده قد بالغ فيها إلى حد كبير،إذ أنه اتخذها كمنبع للتعليم إذ صوّرت الساردة شخصية التبريزي تحت صفوة النبوة، فقد هام في السماء بكل يسر، وهذا يحيل إلى حادثة الإسراء والمعراج أين أسرى الله بعبده محمد صلى الله عليه وسلم إلى السماء العليا.

كما ورد تناص آخر في رواية العبودي يقول فيه **«إقرؤا قواعد عشقه**[2]**»**، أمّا في رواية إليف شافاق فتقول فيها **«القواعد الأربعون لدين العشق»**[3].

فقد جاء هذا التناص في رواية العبودي على لسان شاهين الدرويش، إذ أراد أن يوضح لأولئك الذين تهجموا على التبريزي مدى حبه وعشقه لله، ونفس الإشارة أشارت إليها إليف شافاق في روايتها إذ عدتها مجموعة من المفاهيم والمبادئ التي يقوم عليها أسس الهيام والولع للمعشوق الأوحد وهو الله عزّ وجل وذلك لبلوغ جوهر الحياة وغايتها.

وفي نفس المسار يشير العبودي إلى القول: **«لقد قرأت قصة يا أبي عن دجاجة رقدت تحتضن عدداً من البيض، فلما فقست لم تنتبه لأي فرق بين أفراخها، وفي يوم من**

---

[1]– إليف شافاق، قواعد العشق الأربعون، ص58.

[2]– حارس العشق الإلهي، ص65.

[3]– إليف شافاق، قواعد العشق الأربعون، ص61.

أيام الصيف اصطحبت أفراخها لتعلمهم السباحة لكن أحد الأفراخ سارع دون إذن أمه ورمى بنفسه في الماء،فشرعت الدجاجة المذعورة بالاستغاثة واقتربت من الماء، فإذا بالفرخ الصغير يسبح بمهارة غير معروفة في الدجاج ذلك أنه لم يكن من صنف الدجاج أصلا بل كان من البط».[1]

أما في رواية إليف شافاق فنجدها **«أبتي، لقد جئت من بيضة تختلف عن البيضة التي جاء منها أطفالك الآخرون، أرجو أن تعتبرني بطة تعيش مع دجاجات فلست طيرا داجنا كتبت عليه أن يمضي حياته في خم الدجاج، فالماء الذي يخفك يبث الحياة في لأنني لست مثلك فأنا أعرف السباحة، لذلك سأسبح، إنّ المحيط موطني، فإذا كنت معي تعال إلى المحيط وإذ لم تأتي فكف عن التدخل في حياتي، وعد إلى خم الدجاج»**[2].

يظهر لنا التبريزي من خلال هذه القصة التي عرضها على والده الاختلاف الموجود بينه وبين سائر جنسه، فالمغزى الحقيقي من القصة يكمن في كشف الستار عن شخصيته إذ يقر بأنه متفرد ومتميز عن غيره بدليل الرؤى التي تخالجه من حين لآخر، وهذه سمة الأنبياء والرسل، وهذا ما حدث ليوسف عليه السلام صاحب الرؤية ومفسر الأحلام، وفي

[1]– حارس العشق الإلهي، ص56-57.

[2]– إليف شافاق، قواعد العشق الأربعون، ص 59،60.

ذلك قوله تعالى ﴿**إذ قال يوسف لأبيه يا أبتي إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين**﴾[1].

كما لجأ العبودي في روايته حارس العشق الإلهي إلى اقتباس رباعيات جلال الدين الرومي المترجمة للعربية على يد محمد عيد إبراهيم وهي عبارة عن مجموعة شعرية لجلال الدين الرومي فعلى سبيل المثال نذكر ما اقتبسه في قوله:

مناخل هي الأيام كي تصفي الروح

تكشف النجس وكـــــــــــــــذا

تبين النور لثلة يرمـــــــــــــــون

بهاءهم إلى الكـــــــــــــــون.[2]

وقد أوردها العبودي في روايته في الصفحة 277 إذ يوضح فيها دقة الرومي وحزمه الشديد يدعو الإنسان إلى محاسبة نفسه قبل أن يحاسب، فالأيام تفضح المستور، حيث تتكشف الدنائس فيظهر الضياء لطائفة تلمس الأنس إلى الطبيعة.

وكذلك ما أورده أيضا في قوله:

لا رفيق ســـــــــــــــــــــــوى العشق

---

[1]– سورة يوسف، الآية 4.

[2]– رباعيات مولانا جلال الدين الرومي، تأويل محمد عيد إبراهيم، دار الأحمدي للنشر، ط1، 1998، مصر، القاهرة، ص12.

طريق دون بدء أو نهايـــــــــــــــــــــــــــة

يدعو الرفيق هنـــــــــــــــــــــــــــــــــــاك

ما الذي يمهلك حين تكون الحياة محفوفة بالمخاطر.[1]

يبين الرومي من هنا مرتبة الهيام والولع لرفيق الأعلى، فهو عشق نقي خال من الشروط والشوائب، فهو مكرس للخالق وحده، فبالرغم من التحديات والصعوبات التي تواجهه في طريقه، إلا أنه يواجهها بكل صمود وثقة.

ضف إلى ذلك قوله:

أنصت إلى الأطياف داخل القصائد

دهاءها لتأخذك حيث تريـــــــــد

اتبع تلك الإشارات الباطنيـــــــــة

ولا تخلف مقدمة منطقيـــــــــة.[2]

فجلال الدين يدعو للإصغاء إلى لحن الحياة والغوص فيها دون قيود، والاستسلام لها وإتباع السمات الروحية ليتحرر القلب من كل الهواجس التي تعرقل طريق الوصول إلى الله.

من خلال ما سبق يظهر أنّ الرباعيات من الأشعار التي تتميز بأفكار فذة موحية، إذ تستقطب القرّاء لدراساتها وتحليلها والتعمق فيها، فهي بمثابة سلم للارتقاء إلى المولى عزّ

[1]– حارس العشق الإلهي، ص278.

[2]– الرواية نفسها ص316.

وجل كما نستشف فيها العلاقة التي تجمع بين العبد وربه والقصد من ورائها هو حسن الإنصات والتأمل والانصياع لأوامره والذوبان في الذات الإلهية.

نجد كذلك لجوءه إلى استخدام قواعد العشق الأربعون لشمس الدين التبريزي والتي جاءت على لسان شاهين إذ نجده يقول: **«عندما يدخل عاشق حقيقي لله إلى حانة فإنها تصبح غرفة صلاته، لكن عندما يدخل شارب الخمر إلى الغرفة نفسها فإنها تصبح خمارته في كل شيء نفعله قلوبنا هي المهمة لا مظاهرنا الخارجية، فالصوفيون لا يحكمون على الآخرين من مظهرهم أو من هم،وعندما يحدق صوفي في شخص ما فإنّه يغمض عينيه ويفتح عينا ثالثة، العين التي ترى العالم الداخلي»[1].**

بمعنى أن الحب من المقامات الصوفية إذ يمتلئ القلب الصوفي بمحبة الله عزّ وجل ولا يشاركه أحد في هذا الولع الروحي، فالقلب الذي يتمتع بالصفاء والحب الإلهي لا تغيره الظروف أو البيئة، فهو حب فطري متجذر في كل زمان ومكان عكس القلب الجاحد الذي يتصف بأخلاق مذمومة هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد أن لصوفي حاسة أخرى تكمن في فهم العالم الباطني فينظر بها إلى الجوانب الروحية والعشق الإلهي.

كذلك استخدم العبودي اقتباسا آخرا يظهر فيه أهمية العشق إذ يقول **«لا قيمة للحياة من دون عشق في الأساس، لا تسأل نفسك ما نوع العشق الذي تريده روحي أم مادي إلهي أم دنيوي،غربي أم شرقي، فالانقسامات لا تؤدي إلاّ إلى مزيد من الانقسامات ليس**

[1]- حارس العشق الإلهي، ص162-163.

للعشق تسميات ولا علامات ولا تعاريف، إنما كما هو نقي وبسيط، العشق ماء الحياة والعشيق هو روح من النار، يصبح الكون مختلفا عندما تعشق النار الماء».[1]

بمعنى أنّ الحب أساس الحياة وهو منبع للقلب العاشق المتيم بالخالق، لا يقاس بالأشياء المادية أم المعنوية فهو حب طاهر، فالعشق عشق في حد ذاته وبكل معانيه، به يستطيع الإنسان رؤية العالم بعين محبة عاشقة تمكنه من مواصلة حياته.

إلى جانب ذلك نجد الروائي اتخذ اقتباسا آخرا يظهر فيه نفائس حكيمة لمواجهة متاعب الحياة **«مهما حدث في حياتك، ومهما بدت الأشياء مزعجة، لا تدخل ربوع اليأس وحتى لو ظلت جميع الأبواب موصدة، فإن الله سيفتح دربا جديدا لك، احمد ربك من السهل عليك أن تحمد الله عندما يكون كل شيء على ما يرام، فالصوفي الدرويش لا يحمد الله على ما منحه الله إياه فحسب، بل يحمده أيضا على كل ما حرمه منه».**[2]

فهنا يقدم لنا التبريزي باقة من الوصايا التي تمكننا من مجابهة مشاكل الحياة وتحدياتها فهناك دوما بصيص أمل في كل ما يعترينا من معضلات وعدم السماح بوجود فجوات تؤول إلى القنوط واليأس، واليقين بأن بعد العسر يأتي اليسر وبالتالي يتوجب علينا شكره وحمده في كل زمان ومقام، والحمد الحقيقي يكون بالصبر، قلا ينغلق باب إلا ويفتح باب آخر، ولابد من حمد الله والثناء عليه على الدوام، وهذا ما ينطبق عند الصوفي.

---

[1]– الرواية، ص227.

[2]– الرواية نفسها، ص 272.

كذلك استحضر تناصا آخرا يتمثل في **«لا تحكم على الطريقة التي يتواصل بها الناس مع الله، فلكل امرئ طريقته وصلته الخاصة إن الله لا يأخذنا بكلماتنا بل ينظر في أعماق قلوبنا وليست المناسك أو الطقوس هي التي تجعلنا مؤمنين بل إن كانت قلوبنا صافية أم لا».**[1]

الواضح من هنا أن العلاقة الموجودة بين الله وعباده متعلقة بمدى نقاء القلوب فلا نستطيع أن نقيس عبادة المرء ومعتقداته الدينية على أساس المظاهر الخارجية بل يتعلق الأمر بالقلب الصافي الخالي من النفاق، فكثيرا ما نجد في مجتمعاتنا أناس في قمة العبادة والإيمان، إلا أنه في نهاية المطاف لهم قلوب سواء مليئة بالمكر والخداع.

هذه بعض قواعد العشق الأربعون التي أوردها العبودي في روايته، وأنّ استخدامها كان لغرض إظهار روعة العشق الإلهي وجوهره، وحضورها في الرواية أعطى لها دلالة روحية عميقة .

ب- الاقتباسات الدينية:

يعد النص القرآني عند الروائيين العرب بمثابة الركيزة الأساسية في نتاجهم الأدبي بهدف تشكيل وتأصيل نص إبداعي عريق، وكذلك إثراء الرصيد اللغوي، ومنحه بعدا دلاليا، إذ أنّ سبحانه وتعالى ما أنزل كتابه إلاّ للتدبر والتفكر ليظهر للبشرية طريق الهداية والرحمة ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ونجد ذلك جليا في "رواية حارس العشق الإلهي"، وسنشير

[1]- الرواية ص 273.

من خلالها لبعض ما ورد فيها فعلى سبيل المثال نجد أن العبودي استهل روايته بتناص هو **«والله خير الماكرين!»**[1]، وهو مستلهم من سورة الأنفال في قوله تعالى: ﴿**وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**﴾.[2]

فيه إشارة إلى أنّ لله سبحانه وتعالى مكر على أعداء الرسول صلى الله عليه وسلم لما أنجاه هو وصاحبه أبو بكر في غار حراء وفي ذلك قوله في سورة التوبة: ﴿**إلاّ تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ الله معنا فأنزل الله سكينته...**﴾[3]. ومن هنا يتضح لنا مكر الله عزّ وجلّ للمشركين والسلامة لرسوله من أعدائه.

أما في الرواية فتحدث شاهين عن المكر كونه دائم التفكير في مسائل الكون والبحث عن الجديد وهذا المكر الذي استخدمه العبودي مماثل لمكر الله تعالى للمشركين، ولم يقصد به المكر الذي يحمل في طياته الأذى والسوء للغير.

وما يلاحظ أيضا ما أورده مع سورة السجدة مما جعل لروايته أبعادا دلالية عميقة إذ يقول العبودي فيها **«إذ أن الله نفخ فيه من روحه»**[4]

---

[1]- الرواية، ص17.

[2]- سورة الأنفال، الآية 30.

[3]- سورة التوبة، الآية 40.

[4]- الرواية، ص 18.

وقد جاء هذا الكلام على لسان شمس والذي وجهه لشاهين، إذ يعبر فيه عن عظمة الخالق عز وجل في تصويره للإنسان من حيث أنه خلقه من نطفة ثم نفخ فيه من روحه فسواه رجلا وبعد ذلك يترك له خيارات لاختيار الطريق الصحيح فأعطى له عقل ميزه عن سائر المخلوقات يميز به بين الخير والشر واتباع السبل المثلى لنيل رضوانه سبحانه وتعالى.

فقد استحضر السارد من سورة السجدة قوله تعالى : ﴿**ونفخ فيه من روحه**﴾[1]، يشير الحق تعالى في هذه السورة إلى خلقه للبشر فأحسن تصويره وخلقه، فينفخ فيه الروح ويجعل له حياة جديدة وهذا يدل على قدرته في خلق الإنسان.

كذلك نجد تناصا آخرا اقتبسه العبودي من سورة الزمر في قوله تعالى: ﴿**وأرض الله واسعة**﴾[2]فيه دعوة إلى العبادة الخالصة للمولى عز وجل، فيدعوا عباده الصالحين إلى الهجرة والتنقل إلى حيث يعبدون ربهم ويتمكنون من إقامة حدود الله والابتعاد عن كل نواهيه.

وفي الرواية فقد جاءت على شكل **«أرضك واسعة يا معشوقي السّماوي»**[3].

ففيه إشارة من شمس التبريزي إلى الرحيل والبحث عن معشوقه السماوي كونه لم يجد المساندة من أحد، فبالرغم من حبه الشديد إلاّ أنه لقي سخطا من الناس واتهم بالمجنون

[1]– سورة السجدة، الأية9.

[2]– سورة الزمر، الآية 10.

[3]– الرواية، ص 58.

والزندیق والخروج عن أصول الإسلام، فهذا ما جعله يهاجر ويبحث عن السعادة الأبدية المتمثلة في حب الله.

كما استخدم السارد أيضا عبارة **«ارجع إلى بستانك آمنا مطمئنا»**[1]، متناصة مع الآية الكريمة : ﴿**يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية**﴾، [2] إذ يبين الله فيها إلى ذوي الإيمان والدائمين في ذكر الله والمؤمنين بما أنزل عليهم، يدعو النفس الإنسانية إلى الرجوع إلى الله تعالى وهو راض عنها بما كسبت في الدنيا كما يدعوها إلى دخول جنته والفردوس الأعلى مع العباد الصالحين .

أما إذا نظرنا إلى قول السارد في روايته نجد فيه إشارة للملك الخرساني الذي أراد السوء بزوجة خادمة، لكن وجد فيها العفة والطهارة، ولم يؤثر فيها غرور الملك ولا شهرته وبالتالي فهذا الذي جعل زوجها يظن بها السوء وارتكاب المعصية وخيانته، وبهذا أمره الملك بالرجوع إلى زوجته آمنا مطمئنا وهو راض عنها لأنها امرأة ذات شرف وأخلاق حسنة.

كذلك هناك استحضار بالسياق لسورة الزلزلة في قوله السارد : «**فكل امرئ يكافئ على كل ذرة خير يفعلها ويعاقب على كل ذرة شر يفعلها**»[3]، هي تتناص مع قول الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿**فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره**﴾.[4]

---

[1]– الرواية، ص 131.

[2]– سورة الفجر، الآية 27، 28.

[3]– الرواية، ص 225

[4]– سورة الزلزلة، الآية 7،8.

أي أنّ الله يحاسب الإنسان على كل الأعمال التي يقوم بها سواء كان خيرا أو شرا حتى لو كانت مثقال حبة خردل يأتي بها الله يوم الحساب، فلا تسلم أي نفس من العقاب لما ارتكبته من معاصي وآثام في حق الله، فدين الله هو دين الحق وقد أمر عباده بالتمسك بالإسلام والطريق المستقيم وبها يكافئ بالجنة التي وعدها الله لها في الحياة الآخرة، أما إذا سلك العبد طريق الكفر والشياطين فسيجيء الله بمثل ما جاء به في الآخرة فيحاسبه حسابا عسيرا.

ونفس الإشارة أشار إليها العبودي في روايته إذ يروي لنا على لسان التبريزي أنّ الإنسان مكلف بمحاسبة نفسه فتحدث عن التناقضات الموجودة بين البشرية جمعاء، وبالتالي يلزمه على ضرورة تحصين نفسه من الأفعال الشيطانية التي تراوده في داخله كونه سيعاقب ويجازى على كل تلك الأفعال في الآخرة، فسبحانه وتعالى له ملكوت الأرض والسماء لا يحدث أي شيء إلا بعلمه، فكل شيء في الكون يجري بحسب مشيئته.

إضافة إلى ذلك وظّف تناصا آخرا متمثل في **«ولا يشرك في حبه شيئ»**[1]، وهي تتناص مع الآية الكريمة من سورة الكهف في قوله: ﴿**ولا يشرك بعبادة ربه أحدا**﴾[2].

فيبين الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بأنه مثله مثل جميع البشر إنما خلق لغاية واحدة وهي عبارة الواحد الأحد وهذا ما يبينه قوله تعالى أيضا غي سورة الذاريات: ﴿**وما**

[1]– الرواية، ص241.

[2]– سورة الكهف، الآية:110.

﴿خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[1]، أي أنّ الغرض من خلق الله الناس متمثل في الطاعة والعبادة ولا يكون ذلك إلاّ بالأعمال الصالحة، وأن لا يشرك في عبادته أحد، فهو المرجو بالعبادة دون سواه وهذا لمن يخاف عذاب الله ويأمل لقاء ثوابه يوم الآخرة فعليه بالعبادة الخالصة له .

وفي رواية حارس العاشق الإلهي استخدم أدهم العبودي هذا الاقتباس ليثبت برهان الدين محقق ترميذي للرومي بأن العبادة تكون لله وحده فكل عشقه منصب له ولا يشرك غيره في ذلك.

إنّ استلهام التراث الديني سمة بارزة لدى الروائيين منذ القديم، وهو منبع غني وثري لا يمكن الاستغناء عنه في أي عمل أدبيي، وبالتالي فاستخدام التناص الديني في الرواية كان للدلالة على حب المتصوفة لله عزّ وجل والتمسك بدينه

5 – تجليات التراث الصوفي:

من خلال رواية حارس العشق الإلهي، نحاول الولوج إلى نصوصها وفهم مابين السطور لتنجلي لنا بوضوح البنى الصوفية المسيطرة على النصوص بشكل عميق، من خلال الخطاب الصوفي الحافل بمصطلحات إيحائية موغلة.

[1]– سورة الذاريات، ص 56.

والروائي هنا ينطلق من تفاعلات لغوية بفعل المزج بين الشعور واللاشعور داخل نسق نصي متكامل لإثراء النص الروائي، وفتح شهية القارئ التي تستحوذ عليه تلك الصيغ فينغمس في معانيها ودلالاتها.

ورواية أدهم العبودي تنبثق على عدّة أساليب تغترف من التراث الصوفي بمصطلحاته الخاصة وشخصياته المتيمة بمعشوقها الأبدي وتندمج فيما بينها في بناء فني حكيم.

تتجلى المعتقدات الصوفية في رواية "حارس العشق الإلهي" بوضوح من تجربة الصوفي الذي يرتحل من خلال روآه، ويهيم بعيداً وهي إحدى الكرامات الصوفية المنتشرة بشكل واسع في كتب التراث الصوفي، وتعرف الكرامة على أنها «**الأمر الخارق للعادة**»[1]، أي هي من الأشياء غير المألوفة عند العامة، وهي ميزة خصّها الله لعباده الصالحين، كما تعد مصدرا رئيسيا من مصادر التجريب الروائي وعنصرا يضفي نوعا من العجائبية على النصوص على الرغم من كونها منقولة نقلا لانتشارها في كتب التراث الصوفي، ومفسرة عقلا نظرا لعلاقتها بالقدرة الإلهية من جهة ومعجزات الرسل من جهة أخرى.

ومن أمثلة استغلال الأحلام والكرامات في الرواية ما ذكره السارد، إذ يقول على لسان التبريزي «**وفي حلم آخر رأيت ملاك...ناديت على الملاك. فاستدر لي، وكان النور يشع من هالته إلى المحيط، قال بصوت رخيم وهو يصوّب إصبعه نحوي قالوا أنك دفنت السر في قرار النهر وأنذك شققت بطن الليل واختفيت بداخلها من ذالك الحين، غير أن النهر**

[1]– عبد الرحمن دمشقية، أولياء الله بين المفهوم الصوفي والمنهج السني السلفي، ص60.
www .fran.com

قراره عميق، لن يبلغه يوماً بشر، ...فمن يجرؤ على المجازفة بالرحيل إلى هنا غيرك ؟ ...أنت الذي ستغامر وتستشرف مجاهل روحك وترحل خلف هواجسك»[1]

يسرد التبريزي هنا روآه وأنه ارتحل إلى السماء وشاهد الملائكة وسمع ترتيلها الحسن وكلَّمته وأمرته بأن يجازف ويستكشف مكنونات نفسية، واستلهامها بهدف التغلب على الوساوس ويستشف ذاته وأنه الوحيد القادر على المضي بعيداً لاستكشاف المجهول واستعادة بريق عينه والهامِه الروحي وفك الشفرة السحرية التي تؤهل لفهم المطلق.

وهي تشير إلى الرؤية وكشف الحجب، ومن هذه الكرامات «**مشاهدة العالم الملكوتي الروحاني والترابي من الملائكة والملأ الأعلى والجن...**»[2]

وهكذا تتحقق متعة السرد ويروي شمس الدين التبريزي الرؤى الخارقة للعادة قائلا: **«في الحلم كنت شمسا وكنت نوراً، وكنت أسبق الناس بعشق يشعر بك يالله ولا يشعر به عشق إلهي شاهدته وجها لوجه»**[3].

التبريزي من هنا متيم بالله هائم بمرضاته، متبحر في فضاءات الحب الأزلي ليرتقي بنفسه لمعشوقه الأزلي وإلى صفوة الأبرار والعليين ويفنى في الله كما تكون الرؤيا التي تقع لصوفي على شكل آخر حسب طبيعة العقيدة التي يكنها للرسول صلى الله عليه وسلم،

---

[1] – الرواية، ص52.

[2] – يوسف بن إسماعيل النبهاني، جامع كرامات الأولياء، مركز أهل سنت بركات رضا، ط1، ج1، تح: إبراهيم عطوة عوض، 2001، ص61

[3] – الرواية، ص55.

يحكي السارد على لسان التبريزي **«أثق أن هذا هو قميص النبي لقد أعطاه لي الشيخ في الحلم، نفس القميص برائحته يا لهذا الإحساس ؟قميص النبي على فراشي»**[1]

فشمس يعظم الرسول ويكبر من شأنه لدرجة أن قميص الرسول أوتي له برائحة الطهارة والمسك التي كانت عليه فيثار ويندهش كما لو أنه مؤهلا بفعل للباس النبي صلي الله عليه وسلم على سبيل الكرامة الإلهية، وهذه سمة من سمات العباد والزهاد.

وكما يقدس الصوفيون الأولياء الصالحين، فيرسمون لهم سمات بشرية وأخلاقا فاضلة وقدرات خارقة للعادة ويتمتعون بحب العامة لهم، يقول الراوي على لسان كيرا **«الأعجب أن حضرته تزداد خلقاً يوما بعد يوم فسمعته تزداد بريقاً ولعل أكثرهم على أغلب الظن ممن لا يجدون الزاد إلا عنده، حيث تمتد موائد الطعام طيلة المساء فيتوافد إليه رجال قريتنا ورجال القرى الأخرى ورجال المدينة، يمر بينهم يهرولون إلى يده يلثمونها ويشد يده من بين الأفواه وهو يصح أستغفر الله»**[2].

تحكي كيرا هنا عن قصة السلطان شرف الدين الذي يحرص دوماً على إطعام الآخرين ويرعاهم ، والقداسة والتبجيل والهيبة التي يكنها الناس له لدرجة المنافسة فيما بينهم لتقبيل يده، وطريقة الشيخ شرف الدين تحول دون ذلك فيخطف يده ويستغفر الله فأطلقوا عليه لقب

[1]- الرواية، ص187.

[2]- الرواية، ص 207 208

السلطان للصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة والصفاء الروحي الظاهري والباطني التي ترفع من شأنه والخوارق التي يمتلكها.

فالمتصوف من هنا يرسم صورة خيالية للأولياء بهدف التعظيم من شأنه واكتساب احترام العامة له، فيندفع الناس إليهم لغرض التبرك.

كما تحدث السارد عن الحلول الذي يؤمن به المتصوفة الذي يعرجون به إلى أعلى مقام وهو مقام الربوبية إذ يقول **«اطوي الأرض ستنطوي بسهولة بين يديك...اسرح بيقينك ستسرح معك الأرض، يمكنك أن تعيد تشكيل أجزائها المفككة كيفما شئت، إنما إياك العبث بالزمن خصوصاً الماضي، بقاء الألهوية مرهون بالزمن»**[1].

فالرومي يؤمن بالحلول ويخاطب التبريزي ويؤكد عليه وهو ما يجعلهما يتشبهان بالصفات الإلهية وأن مظاهر الحياة الموجودة في الأرض ما هي إلاّ تجليات للحقيقة الأزلية وهي حقيقة الله.

فطي الأرض من المفاهيم الصوفية التي تجسد لنا رؤيتهم و نظراتهم للحياة بمنظارهم الخاص ويتجلى ذلك في «**طي الأرض للعبد في العالم الكبير إنّما هو نتيجة عن طيّ العبد أرض جسمه بالمجاهدات وأصناف العبادات**»،[2] ويقصد به مجاهدة النفس وحرمانها من متطلبات الحياة الرغيدة من أكل و شرب والخلوة لعبادة الواحد الأحد.

---

[1]– الرواية، ص 361.

[2]– يوسف بن إسماعيل النبهاني، جامع كرامات الأولياء، ص64.

كما جعل الراوي شاهين يمتلك قوى خارقة باسم الكرامة الإلهية بشكل قياسي ولافت للنظر «**وضع يده في لحظة تحولتا يده لمسبار ينخر في عمق الثلج، ثم انفجرت عين ماء**»[1]، وصفه الكاتب على أنه يمتلك القوة والسحر ليخرج ينبوع الماء من أعماق الثلج بمجرد لمسه ذلك الصقيع، فانفجرت طاقته الكامنة في داخله إلى قوى ملموسة ظاهرة للعيان.

ويقول في موضع آخر «**ثم قطفت غصناً من شجرة تحسست به وجهه، وفي لحظة تحّول الغصن بأصابع تمسد شعر رأسه ورقبته**»[2].

فيتحول الدرويش لساحر متمكن بخبايا وقضاياه باسم الحب، وهي نقطة أساسية في المعتقدات الصوفية، وهو أن الله يمن عليهم تلك القوى لأنهم في مقام زمرة الأولياء الصالحين، وتحيل هذه الكرامة إلى كرامة «**أبي تراب لما ضرب برجله الأرض فإذا عين ماء زلال**»[3]، ضف إلى ذلك قول السارد «**هز كتفيه وأحضر الكأس، وضعها أمامي ووقف يراقبني غمست الوردة في فراغ الكأس، وتركتها، كانت الوردة تتحوّل بالتدريج إلى نبيذ فغر صاحب الخان فاه، امتلأت الكأس بالشّراب...**»[4]

يظهر هنا أن الصوفيين ينسبون إليهم قوى خارقة دون غيرهم من عامة الناس فيتصفون بطاقات غير اعتيادية، أي أنّ الله خصهم بهبات وكرامات فيرفعون أنفسهم إلى مقام النبوة

---

[1]- الرواية، ص 349.

[2]- الرواية، ن ص .

[3]- يوسف بن إسماعيل النبهاني، جامع كرامات الأولياء، ص51.

[4]- الرواية، ص350.

فمثلا موسى عليه السلام أيده الله بمعجزات منها ما ورد في القرآن الكريم ﴿**وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر،فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً**﴾[1]. فكما خص الله الرسل والأنبياء بمعجزات ماثل الصوفيين أنفسهم بكرامات.

ومن العبادات التي تمسك بها المتصوفة الصيام باعتباره من الرياضات الروحيّة والنفسية التي تهذب الطبع، وفي ذلك ما جاء على لسان جلال الدين الرومي،سارداً رسالة شيخه برهان الدين محقق ترميذي «**الصيام الصيام بترك ما سوى الله، لا ترك الطعام والشراب فحسب، أو ترك الحلال و الحرام، بل أن يترك السالك كل شيء دون الله، حتى يخف جسده بما فيه من ثقل الرغبات ...فالصيام يحقق الهدوء والأناة والصبر**»[2].

الواضح في هذا القول أنّ الصيام في حدّ ذاته يتعدى الامتناع عن الأكل والشرب فهو مجاهدة النفس وحرمانها من الرغبات، وبالتالي اختبار الله تعالى عباده على الصبر بالإضافة إلى أنه عامل أساسي في تحقيق الراحة النفسية وتعديل الغرائز وبه يتقرب العبد إلى الله تعالى ليكن بذلك حافز كبير في قوة الإيمان وتجديد الصلة بين الله وعبده.

مما لا شك فيه أنّ المتصوفة دائما في بحثهم عن أنجع الطرق للوصول إلى الرقي الإلهي يمر بمحطات عديدة صعبة، يتم فيها تهذيب النفس ومجاهدتها كما أشار إليها الصوفي جلال الدين الرومي «**أوصيكم بتقوى الله في السرّ و العلانية وبقلة الطعام، وقلة**

[1]- البقرة، الآية 60.

[2]- الرواية، ص 242.

المنام، وقلة الكلام، وهجران المعاصي والآثام ومواظبة الصيام، ودوام القيام، وترك الشهوات على الدوام»[1]

وبهذا يكون باب الصيام من أهم العبادات الروحية التي تشحذ الهمة وتطفئ نار الشهوة كما يعد الترياق للكيان الروحي عند المتصوف بالفناء في الله.

كما يقص لنا الراوي على لسان التبريزي مظاهر العبادة في حلقات الذكر التي يتخللها الإنشاد الشعري والطبول والرقص ماثلا في نص الرواية «**أنظم للحلقة نبتهل ونقرأ الأدعية وننسلخ نغادر ثيابنا وننطلق إلى السّموات، يغامرنا شعور الترقي، ونطوّف بين سرايا الإحساس كأننا لم نكن بشراً، ولكن يدق الطبل وتتراقص الأدمغة تلتحم الأجسام وتغيب العقول...».**[2]

فالتمايل بالأجسام مع التغني وقرع الطبول سمة جوهرية ودرر نفيسة وقاعدة أساسية في مجالس الذكر عند الصوفي، لهدف وصل القلب بمعشوقهم الأوحد وهو الله عز وجل وعبادته وفقاً لطقوسهم الخاصة، هذا يدل على تمسك الصوفي بمعتقداتهم «**وفي حلقات الذكر كان ينشد أصحابها، سماع الأنغام، وتتردد في جوانبها ألحان الناي بما يشبع فيه من أنين وأشواق.**»[3]، فلابد من الصخب والموسيقى أن تعانق مجالس الذكر، إذ يعدّ الرقص والغناء عند الصوفي وسيلة من وسائل الارتقاء والتقرب إلى الله، وبهذا فإن رواياتنا هذه مليئة

[1]– مصطفي غالب، جلال الدين الرومي، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، د ط، بيروت، لبنان، 1982، ص22.

[2]– الرواية، ص 147.

[3]– فرح ناز رفعت جو، العرفان الصوفي عند جلال الدّين الرومي،ص217.

وحافلة بالكرامات التي اختص بها عباد الله الأتقياء ألاّ وهم أولياؤه الصالحين «**ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي**».[1]

فيظهر من خلال هذا القول المكانة التي رسمها الصوفي لنفسه، فكما ارتبطت المعجزات بالأنبياء والرسل، كذلك اتسم المتصوفة بقوى خارقة للعادة وهي التي تميزهم عن غيرهم وتجعلهم في صفوة الأخيار.

[1]– محمد بن إسماعيل الصنعاني، الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف، تح:عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ص36.

www.alsoufia.com.

خاتمة

من بين المواضيع التي كانت مثار إهتمام الأدباء قديما وحديثا موضوع التصوف كونه قائما على الأخلاق الفاضلة والإبتعاد عن الأخلاق السيئة والرذائل، فاستطاع بهذا أن يحتل مكانة عظيمة لدى الروائيين، وهذا الذي جعل رواية "حارس العشق الإلهي" "لأدهم العبودي" تثير الكثير من النقاشات مما جعلها تفتح المجال أمام الكثير من الدراسات بسبب اهتمام الباحثين والقرّاء بشخصية جلال الدين الرومي وتاريخه العريق، وكذا العلاقة التي تجمع بينه وبين أستاذه شمس الدين التبريزي.

وبالتالي يمكن رصد أهم النتائج التي توصل إليها بحثنا هذا كالآتي:

- امتثال التصوف للقيم الروحية والأخلاقية والتي هي منبع الحب.
- تعدد مفاهيم التصوف بتعدد مدارسه وطرقه، إلا أن الجوهر الرئسي له يكمن في الصفاء الروحي والرقي الإلهي.
- يعتبر الصوفي الحقيقي المقامات والأحوال الصوفية بمثابة سلم الإرتقاء والوصول إلى الله سبحانه وتعالى.
- إستخدام الرمز الصوفي لديهم كان لغرض إظهار مدى تعلقهم بالذات الإلهية فاستخدموا رمز المرأة والخمرة.
- تميزت كتاباتهم بالغموض والإيحاء لكونها قائمة على الرمز ، كما أنها تتمتع بالمصطلحات الزاخرة والتي جعلها تتفرد عن غيرها من الكتابات ، إذ هي تعبير عن الذات وبلوغ قمة العشق الإلهي.

- كما نجد أنّ الأدب الصوفي أدب زاخر فمنه النثر ومنه الشعر واعتبر كوسيلة للتعبير عن إختلاجاتهم الروحية والذي يحمل في طياته الكثير من العبر والقيم والوصايا بدافع الرقي والإزدهار في سبيل المعرفة الإلهية .
- استخدام التراث الديني من بين الروافد التي إهتم بها العبودي في روايته، وتجلى ذلك من خلال استحضار القص القرآني، وكان لإظهار مدى تمسك الصوفي بالعقيدة الإسلامية.
- الإهتمام بالعتبات النصية كالعنوان أو الغلاف أصبحت ضرورة من الضروريات بها يستطيع المتلقي الولوج في أعماق النص.
- نستشف أيضا استلهام اقتباسات لقواعد العشق الأربعون التي صاغها التبريزي والتي اعتبرها من المبادئ الأساسية التي يقوم عليها العشق الإلهي.
- إن العلاقة التي تجمع الرومي بالتبريزي هي علاقة مبنية على أساس الحب الإلهي وذلك لغرض الإرتقاء لمقام الربوبية.

الملحق

ملخص الرواية

جاءت رواية أدهم العبودي المعنونة "بحارس العشق الإلهي" مقسمة إلى ثلاث فصول رئيسية وهي المفترق، العثور، العدم إذ تدور أحداثها حول أربع شخصيات وهي : جلال الدين الرومي ، شمس الدين التبريزي ، شاهين ، كيرا .

المفترق: تطرق الكاتب في هذا الفصل إلى ذكر تفاصيل حياة كل شخصية من شخصياته مركزا على لحظة نشأة بطليه شمس الدين التبريزي وجلال الدين الرومي، وتاريخ والده بهاء الدين، وما عاشته دول العالم الإسلامي بسبب هجومات التتار والمغول على يد جنكيز خان.

كذلك نجدها رواية مليئة بالحكايات، إذ جعل الكاتب لكل شخصية حكاية ترويها فاستدل من الشخصيات التاريخية كشخصية هارون الرشيد والقصّ الديني كالمسيح الدجال.

أمّا الفصل الثاني المعنون بالعثور: فقد أشار الكاتب فيه إلى تطور الشخصيات ونمائها والتقائها ببعضها البعض، والأثر الذي تركته كل شخصية في الشخصية الأخرى، فتحدث عن انجازات جلال الدين الرومي وكيف أصبح شاعر ذاع صيته، وتحدث عن تأملات ورؤى التبريزي الذي جعلت منه إنسانا مختلفا عن غيره ولا يؤثر فيه شيء سوى الالتقاء بالمعشوق الأوحد إلى أنّ يصل في نهاية هذا الفصل إلى الالتقاء بالرومي.

العدم: سمى العبودي هذا الفصل بمولانا شمس الدين الرومي قام بدمج بين شخصيتين جلال الدين الرومي وشمس الدين التبريزي أي توحيد بينهما فهذين الاثنين لا تهمهم الأسماء ولا الأماكن أكثر مما يهمهم الوصول إلى قمة العشق الإلهي.

نبذة عن الكاتب:

ولد الروائي أدهم العبودي المشهور بأدهم محروس في 17أكتوبر 1981 بمدينة الأقصر في مصر، درس في كلية الحقوق بجامعة أسيوط وتخرج عام 2003م.

يعمل محاميا بالأستئناف العالي ومجلس الدولة، كما أنه عضو في اتحاد المحامين العرب. قام العبودي بتأسيس نادي القصة في محافظة الأقصر وأسس إتحاد المثقفين المصريين. وقد حصل على شهادة الماستر في جامعة جنوب الوادي عن روايته "متاهة الأولياء" وباب العبد .

ومن أهم أعماله الروائية :

- أصدر مجموعة قصصية تحت اسم جلباب النبي عام 2011م.
- رواية باب العبد وهي اولى روايته اصدرتها دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة عام 2012 .
- أصدر رواية متاهة الأولياء عن دار الادهم للنشر والتوزيع عام 2012 وهي ثاني افضل روايته صدرت له في الوطن العربي.
- أصدر روايته الطيبون عام 2014 والتي اختيرت كأفضل رواية على موقع good reads في نفس العام.
- أصدر روايته "خطايا الآلهة " عام 2015.
- وروايته "الخاتن" في 2016 والتي حازت اعجاب الكثير ودرستا في المعهد العالي للسينما ثم تلتها رواية "حارس العشق الالهي" 2017.

ومن أهم الجوائز التي حصل عليها:

- جائزة احسان عبد القدوس في القصة القصيرة عام 2011.
- جائزة الشارقة للابداع العربي في الرواية عام 2012.
- جائزة اتحاد الكتاب في الرواية عام 2016.

قائمة المصادر والمراجع

أ – القرآن الكريم.

ب – المصادر والمراجع:

1– إبراهيم محمد منصور، الشعر والتصوف الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر، دار الجبل، د ط، كلية الآداب، جامعة طنطا، 1995.

2– أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع ط 3، القاهرة، 1997.

3– أبي الفرج عبد الرحمان، تلبيس إبليس، دار القلم، بيروت، لبنان، د ط.

4– أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، ط 1، دمشق بيروت، 2002.

5– أدهم العبودي، حارس العشق الإلهي، المصري للنشر والتوزيع، ط15.

6– أدونيس، الثابت والمتحول، بحث في الإتباع والإبداع عند العرب، دار العودة، ط 2 بيروت، 1979.

7– أسماء خوالديّة، الرمز الصوفي بين الإغراب بداهة والإغراب قصدًا، دار الأمان، ط 1 الرباط، 2014.

8– الإمام ابن القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري، الرسالة القشرية، دار الكتب العلمية، د ط، لبنان، بيروت، 2001.

9– الإمام ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2005م.

10- الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي ج7.

11- السّراج الطوسي، اللمع، دار الكتب الحديثة، د ط، مصر، بغداد، 1969.

12- إليف شافاق، قواعد العشق الأربعون، تر: خالد الجبيلي، طوى للنشر والاعلام، ط1 بريطانيا، لندن، 2012.

13- جميل حمداوي، سيميوطيقا العنوان، ط1، 2015.

14- شهاب الدين أبي حفص عمر السهر وردي، عوارف المعارف، دار المعارف، القاهرة ج2، 1919.

15- عبد الحميد حسن زروق، قضايا التصوف الإسلامي، هيئة الأعمال الفكرية، ط2 2006.

16 - عبد غالب أحمد عيسى، مفهوم التصوف ، دار الجيل، ط1، بيروت، لبنان، 1992

17- علي الخطيب، اتجاهات الأدب الصوفي بين الحلاج وابن عربي، دار المعارف، د ط القاهرة.

18- غريب محمد علي، في التصوف الإسلامي، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1، القاهرة مصر 2008.

19- فرح ناز رفعت جو، العرفان الصوفي عند جلال الدين الرومي، دار الهادي، ط1 بيروت، لبنان، 2008.

20- مجدي محمد إبراهيم، التصوف السني حال الفناء بين الجنيد والغزالي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، الإسكندرية، مصر، 2002.

21- مجمع اللغة العربية، مجمع الوجيز، ط1، مطابع الدار الهندسية، القاهرة، مصر 1980.

22- محمد بن إسماعيل الصنعاني، الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف، تح:عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

23- محمد عبد المنغم خفاجي، الأدب في التراث الصوفي، مكتبة غريب، د ط، مصر القاهرة.

24- محمد عيد إبراهيم، رباعيات مولانا جلال الدين الرومي، دار الأحمدي للنشر، ط1 مصر، القاهرة، 1998.

25- محمد مفتاح، دينامية النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت لبنان، ط 4، 2010.

26- مصطفي غالب، جلال الدين الرومي، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، د ط بيروت، لبنان، 1982.

27- يوسف بن إسماعيل النبهاني، جامع كرامات الأولياء، مركز أهل سنت بركات رضا ط1،ج1، تح: إبراهيم عطوة عوض، 2001..www.alsoufia.com

www .fran.com

28-عبد الرحمن دمشقية، أولياء الله بين المفهوم الصوفي والمنهج السني السلفي.

د -المجلات:

1-عبد القادر عزّة، مستويات اللغة الصوفية عند محي الدين بن عربي، مجلة حوليات التراث، ع10، جامعة تلمسان، الجزائر، 2010.

هـ -المواقع:

1-مبتعث للدراسات والاستشارات الأكاديمية

http:llwww.mobt3ath.com>dets>title

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات	الصفحة
مقدمة	أ – ج
الفصل الأول: **نشأة التصّوف وتطوره**	
1–مفهوم التصوف	5 – 10
أ – المفهوم اللغوي	5 – 7
ب– المفهوم الاصطلاحي	8 – 10
2 – المقامات والأحوال الصوفية	11 – 32
أ – المقامات	11 – 22
ب– الأحوال	23 – 32
3– الكتابة الصوفية	32 – 39
4 –الرّمز الصوفي	39 – 43
الفصل الثاني: **المكون الصوفي في رواية حارس العشق الإلهي**	
1–دراسة العنوان	45 – 46
2–دراسة الغلاف	46 – 49
3–دراسة الشخصيات	49 – 57
4–الاقتباسات	57 – 72
أ–الاقتباسات الأدبية	57 – 67
ب–الاقتباسات الدينية	67 – 72
5–تجليات التراث الصوفي	72 – 80

خاتمة	83 – 82
ملحق	87 – 85
قائمة المصادر والمراجع	92 – 89
الفهرس	95 – 94

ملخص البحث:

يعتبر التصوف من بين تلك المواضيع التي اهتم بها الروائين والشعراء العرب، لما تحمله معانيه من جمال وعمق في تصوير الذات الانسانية وعلاقاتها بالذات الالهية، فكان الروائي أدهم العبودي من بين هؤلاء الذين أسرتهم المعاني الصوفية وتأثروا بشخصياتها فجعل منها شخصيات مخالفة لما دونته كتب التاريخ والتصوف.

من خلال هذا البحث نتعرف على التصوف ومقاماته وأحواله ، وكيفية تجلى الرمز الصوفي في كتاباتهم الصوفية، إظافة إلى إبراز المكونات الصوفية من خلال دراسة العنوان، الغلاف، الاقتباسات، وكذا الالمام بتجليات التراث الصوفي كالكرمات والاحلام.

الكلمات المفتاحيةّ:التصوف، المكون الصوفي، الحب الالهي، الصفاء الروحي، العشق الالهي، الكرامات.